





الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

مدينة مالَقَة: أردنّ الأندلس

صفحات مجهولة من تاريخ الأردنّ

دراسات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مدينة مالَقَة:
أردنّ الأندلس

صفحات مجهولة من تاريخ الأردنّ



أ. د. صلاح جرّار

مدينة مآلقة:

أردنّ الأندلس

صفحات مجهولة من تاريخ الأردنّ

وزارة الثقافة
مكتبة الأسرة الأردنية / مهرجان القرأة للجميع

• مدينة مالقة : أردن الأندلس (صفحات مجهولة من تاريخ الاردن)
•المؤلف : صلاح جرار
•الناشر : وزارة الثقافة
شارع صبحي القطب
المتفرع من شارع وصفي التل
ص.ب. 6140 – عمان – الأردن
تلفون : 5696218 / 5699054
فاكس : 5696598
Email : info@culture.gov.jo

•الطباعة : مطبعة السفير 064657015
•رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٤٣٠٠ / ٩ / ٢٠١٦)
•رقم ردمك (٩٧٨-٩٩٥٧-٩٤-٢٦٢-٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بين الأردنّ ومدينة مالقة الإسبانية، التي تقع على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس، وشائج تاريخية عميقة استمرّت طوال مدّة الحكم العربيّ للأندلس، وقد انطوت هذه العلاقة على أخبارٍ وحكايات وتفاصيل دقيقة وشائقة تحتاج إلى المزيد من الدراسة والكشف.

ولقد قُدّر لكورة ريّة الأندلسيّة التي منها مدينة مالقة وغيرها أن تصبح أردنّاً ثانيا منذ سنة 125هـ إلى سقوط الأندلس: طبيعةً وجغرافية وزراعة وصناعة وسكّاناً وعمراناً وفنوناً وغير ذلك، حتى أطلق عليها الأندلسيون بالفعل اسم: الأردنّ.

ولقد قدّر لقرون ثمانية متصلة في العصور الوسطى أن تشهد وجود أردنّين اثنين في وقت واحد يفصل بينهما بحرٌ يمتد لآلاف

الأميال، يقع أحدهما في الطرف الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وقاعدته مدينة مالقة، ويقع الآخر في الطرف الشرقي له وقاعدته طبرية، وميناؤه عكّا.

وأردنّ الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط مولودٌ من رحم أردنّ الساحل الشرقيّ، حتى يكاد يشبهه في نسيجه القبليّ وعادات أهله ومناخه وتضاريسه ومزروعاته ومصنوعاته وأسماء بنيه.

وقد حدث ذلك في إثر الفتح الإسلاميّ للأندلس سنة 92 هـ على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير في زمن الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك.

وقد كان الأمويون يعتمدون أكثر ما يعتمدون في فتوحاتهم على القبائل العربيّة القاطنة في الأقاليم القريبة من عاصمة خلافتهم دمشق، ولا سيّما في دمشق وحمص وقنسرين والأردنّ وفلسطين، وهي ما عُرفت حسب التقسيمات الإدارية الأموية لبلاد الشام بالأجناد، وكان جندُ الأردنّ الأقرب إلى جند دمشق، وكانت قبائل جند الأردنّ من أكثر القبائل ولاء للأمويين ودفاعاً عنهم ومساندة لهم، وكانت أكثر قبائل الأردنّ من قحطان اليمانيين مثل: لخم وجُذام وعاملة وغسّان والأشعر وبلقين (القين)، وهي من القبائل التي رحلت إلى بلاد الشام بعد سيل العرم في اليمن[1].

وممّا يؤكد ولاء قبائل الأردنّ للأمويّين أنه عندما أجمع المسلمون في مكة سنة 46 هـ على ولاية عبدالله بن الزبير خالفت قبائل الأردنّ عليه وبايعت لمروان بن الحكم [2]، ولولا مساندة قبائل الأردنّ لمروان ابن الحكم لضاع الحكم من يد بني أميّة في وقت مبكر.

وعندما سأل سليمان بن عبدالملك موسى بن نصير بعد عودته من فتح الأندلس: من كان من العرب فرسانك؟ «قال: حِمْيَر[3].

وعندما احتدم النزاع بين القيسية واليمانية في الأندلس في أيّام الولاة استشار الخليفة هشام بن عبدالملك العباس بن الوليد في الأمر فقال له: يا أمير المؤمنين ليس يصلُحُ آخرُ هذا الأمر إلاّ بما صَلُحَ به أوّله، فاصرف نظرك وحُسْنَ رأيك إلى هذه القحطانية...»[4] يقصد القبائل اليمانية من بلاد الشام.

وهذا يدلّ على أنّ الأمويّين كانوا يعولون كثيراً على القبائل اليمانية في بلاد الشام ومن ضمنها جند الأردنّ.

قبائل جند الأردنّ وطوالع الهجرات إلى الأندلس

- طالعة موسى بن نصير سنة 93 هـ :

الطالعة هي الجماعة الكبيرة من المهاجرين العرب إلى الأندلس، فبعد أن دخل طارق بن زياد الأندلس سنة 92 هـ في اثني عشر ألفاً من الجند معظمهم من البربر، واستولى على قرطاجنة وإستجة وقرطبة ومضى إلى طليطلة[5]، خاف موسى بن نصير على جيش المسلمين، فعبر إلى الأندلس سنة 93 هـ ومعه ثمانية عشر ألفاً من خيرة الجند جلّهم من العرب وفيهم عددٌ كبير من القيسية واليمانية، وقد أُطلق على هذه الجماعة اسم طالعة موسى بن نصير وقد سُمّوا هم والبربر الذين سبقوهم بالبلديّين[6].

وكان في هذه الطالعة بعض أبناء القبائل التي تسكن جند الأردنّ، مثل صبيح اللخمي[7].

ومن المدن التي فتحها موسى بن نصير مدينة مالقة، قيل إنّ موسى أرسل ابنه عبد الأعلى إلى تدمير (سرقسطة) ففتحها وإلى غرناطة ومالقة وكورة ريّة ففتح

الكّلَّ، وقيل إنه لمّا حاصر مالقة –وكان ملكُها ضعيف الرأي قليل التحفّظ– كان يخرج إلى جنان له بجانب المدينة طلباً للراحة من غُمَّةِ الحصار من غيرْ نَصْب عين وتقديم طليعة، وعرف عبد الأعلى بأمره، فأكمن له في جنبات الجنّة التي كان ينتابها، قوماً من وجوه فرسانه ذوي رأي وحزم، أرصدوا له ليلاً فظفروا به وملكوه، فأخذ المسلمون المدينة عنوةً، وملأوا أيديهم غنيمة[8].

– قافلة الأردنّ إلى الأندلس زمن عمر بن عبد العزيز (99هـ):

وقد تحدثت بعض المصادر عن قافلة خرجت من الأردنّ إلى الأندلس خلال مدة حكم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، عرفت باسم قافلة الأردنّ[9]، وهي عبارة تدلّ على أنّ هذه القافلة كانت واحدة من قوافل أخرى تخرج من أقطار دولة الخلافة إلى الأندلس، وربّما تكون هذه القوافل دورية تخرج في مواقيت محددة من العام، وذلك لإرسال الولاة والعمّال والعلماء والقضاة وسواهم إلى الأندلس أو عودتهم منها. وكان ممّن ذهب إلى الأندلس في قافلة الأردنّ أيام عمر بن عبدالعزيز قاضي الجند بالأندلس يحيى بن يزيد التُّجِيبي الذي حاول الإصلاح بين القيسية واليمانية ووقف الاقتتال بينهما. ومن المعلوم أنّ الميناء الرئيسي للأردنّ في ذلك الزمن وهو ميناء عكّا، كانت ترسو فيه السفن القادمة من الأندلس عبر البحر الأبيض المتوسط وتقلع منه.

- طالعة بلج بن بشر القشيري سنة 124هـ :

في سنة 116هـ ثار البربر بطنجة على عبدالله بن الحبحاب، ثمّ ثار أهل الأندلس على واليهم عقبة بن الحجّاج، فلما علم الخليفة هشام بن عبدالملك بذلك ولّى على المغرب والأندلس سنة 123هـ كلثوم بن عياض القشيري، وأمره بإخماد ثورة البربر، وجعل الأمر بعده إلى ابن أخيه بلج بن بشر القشيري، إن هو أصيب، وجعل الأمر بعد بلج إن أصيب إلى ثعلبة بن سلامة العاملي، من جند الأردنّ، فتقدّم كلثوم إلى إفريقيا (تونس) ومعه ثلاثون ألفاً : عشرة آلاف من بني أميّة وعشرون ألفاً من بيوتات العرب، وندب الخليفة من أجناد الشام من كلّ جند ستّة آلاف ومن أهل قنسرين ثلاثة آلاف، وأخرج ثعلبة بن سلامة العاملي على جند الأردنّ. ولمّا وصل الجيش إلى إفريقيا تجمع البربر تحت قيادة حُميد الزناتي، ودارت بينهم وبين كلثوم بن عيّاض حربٌ شديدة، قتل فيها كلثوم وعشرة آلاف من جيشه سنة 124هـ، وتولّى بلج الأمر من بعده، وقد بقي معه عشرة آلاف من عرب الشام لجأوا إلى سبتة، حتى ضاق عليهم الأمر ضيقاً عظيماً، فكاتب بلجٌ وأصحابه عبدالملك بن قطن الفهري والي الأندلس، أن يسمح له ولجيشه بالدخول إلى الأندلس بعد ما أصابهم، فرفض عبدالملك ولم يأمنهم، ثمّ أذن لهم بالدخول، بعد أن تطاول عليه البربرُ بالأندلس، كي يستعين بهم على البربر، واشترط عليهم أن يخرجوا بعد سنة، فوافقوا على ذلك[10].

وبذلك دخل بلج بن بشر القشيري ومن معه من أهل الشام ومن جند الأردنّ وسواهم إلى الأندلس سنة 124هـ، وسميّت هذه الجماعة بطالعة بلج، وأطلق على من كان بها اسم الشاميّين في مقابل البلديّين الذين دخلوا الأندلس مع طارق وموسى[11]. وفي هذه الأثناء عين الخليفة هشام بن عبدالملك والياً جديداً على إفريقية هو حنظلة بن صفوان الذي كان عامله على مصر.

يقول ابن عبدالحكم في كتابه «فتوح إفريقيا والأندلس» (ص99): «وانهزم بلج ابن بشر وثعلبة الجذامي وبقية من أهل الشام إلى الأندلس، فاتبعهم أبو يوسف الهواري، وكان طاغية من طواغي البربر، فأدركهم فقاتلهم، فقتل أبو يوسف، وانهزم أصحابه، ومضى بلج وثعلبة إلى الأندلس».

ويقول ابن عِذاري المراكشي في كتاب «البيان المغرب»[12] إنّ عبدالملك بن قَطَن الفهري بعد أن سمح بدخول بلج وطالعته «أخذ منهم رهائن أنزلهم بجزيرة أمّ حكيم، وهي على الخضراء، ثمّ أدخل بلجاً وأصحابه عراة، لا يواريهم إلاّ دوابّهم، وقد بلغ بهم الجهد غايته، وكانوا نحو عشرة آلاف من عرب الشام، فلّما دخلوا كساهم عربُ الأندلس على قدْر أقدارهم، فربّ رجلٍ يكسو مائة رجل، وآخر عشرةً، وآخر واحداً، إلى ما بين ذلك».

وبعد دخولهم إلى الأندلس أعانوا عبدالملك بن قطن الفهري في معاركه ضدّ البربر وهزموهم ولا سيّما الهزيمة العظمى بوادي سليط بالقرب من طليطلة[13].

يقول لسان الدين بن الخطيب في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة»[14]: «ولمّا دخل الشاميّون مع أميرهم بلج، وهم أسود الشرى عزة وشهامة، غُصَّ بهم السابقون إلى الأندلس، وهم البلديُّون، وطالبوهم بالخروج عن بلدهم الذي فتحوه، وزعموا أنّه لا يحملهم وإيّاهم، واجتمعوا لغزوهم».

وكذلك طلب عبدالملك بن قطن الفهري من بلج أن يغادر الأندلس هو وصحبه، فقال بلج: احملْنا إلى ساحل إلبيرة أو ساحل تُدمير. فقال لهم عبدالملك: ليست لنا مراكب إلاّ بالجزيرة. فقالوا له: إنّما تريد أن تردّنا إلى البربر ليقتلونا في بلادهم.

فلّما ألحّ عليهم بالخروج، نهضوا إليه، فدارت بينه وبينهم حرب عظيمة انتهت بقتل عبدالملك، واستيلاء بلج بن بشر ومن معه على الأندلس سنة 123هـ[15].

ثعلبة بن سلامة العاملي أوّل والٍ على الأندلس من جند الأردنّ سنة ١٢٤هـ:

ولّما ولي بلج بن بشر القشيري الأندلس ثار عليه أميّة وقطن ابنا عبدالملك بن قطن الفهري، وانضمّ إليهما عبدالرحمن بن علقمة عامل والدهما على أربونة وعددٌ من عرب الأندلس وبربرها، ودارت الحرب بين بلج ومعه الشاميّون والأمويّون وبين الثائرين عليه، وانتهت بهزيمة الثائرين، إلاّ أن بلجاً أصيب في هذه المعركة بسهم ومات في اليوم الثاني.

وتولّى أمر قرطبة والشاميّين والأمويين ثعلبةُ بنُ سلامة العاملي أمير جند الأردنّ سنة 124هـ، عملاً بوصيّة هشام بن عبدالملك[16].

فلمّا ولي ثعلبة الأندلس جمع له البلديون من العرب والبربر جمعاً كبيراً بمدينة ماردة لمحاربته، فخرج لهم وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسر منهم نحو الألف وانصرف إلى قرطبة[17].

يقول ابن عذاري المرّاكشي عن ثعلبة «فسار بأحسن سيرة»[18]. إلاّ أنّ صاحب كتاب أخبار مجموعة يورد أنّه عندما ثار عليه البلديّون والبربر يقودهم عبدالرحمن ابن حبيب وأميّة وقطن ابنا عبدالملك هزمهم وأخذهم أسرى ثمّ سبى ذراريّهم، ولم يكن بلج قبله تعرّض للذريّة بسباء، فاقبل من السبي بعشرة آلاف أو يزيدون حتى نزل المسارة بقرطبة، وقد بلغ صاحب إفريقيا ما فيه أهل الأندلس، ووفد إليه من صالحي أهلها، وكتب له أنْ أعيننا بوالٍ يجمعنا ويأخذ بيعتنا له ولأمير المؤمنين حتى يصير الشامُ والبلدانُ على دعوةٍ واحدة، فقد أفنانا القتل وخفنا العدوّ على ذرارينا، فبينا ثعلبة نازلٌ بالمسارة يبيع ذراري أهل البلد . . . ولقد بلغنا أنه باع أشياخهم فيمن ينقص بهم، لقد قيل إنّه صاح على ابن الحسين رجل كان بالأندلس من أهل المدينة، وعلى الحرث بن أسد من جهينة من أهل المدينة، فقال: من يخسر على هذين الشيخين، فقال قائل: أحدهما عندي بعشرة دنانير، فقال الصائح: من ينقص؟ حتى باع أحدهما بكلب والآخر بعود . . .»[19].

وينقل ابن عذاري المراكشي عن صاحب كتاب «درر القلائد»[20] قوله عن

ثعلبة إنه[21]: «كان يبيع ذراري أهل البلد ويحملهم أسرى ويرهقهم من أمرهم عسرا».

ولما جاء أبو الخطّار الكلبي بعد ذلك «ألفى ثعلبة بن سلامة قد أبرز الأسرى من البربر الذين تقدم ذكرهم ليقتلهم، والناس قد اجتمعوا لمشاهدتهم، فكان دخول أبي الخطّار سبباً في حياتهم، فأسْلمَ إليه ثعلبة الأسارى، وتخلّى له عن الحال، وخرج في يومه ذلك من قرطبة قافلاً إلى المشرق، فأراد من دخل مع بلج من أهل الشام الخروج مع ثعلبة وأن لا يتخلفوا عنه، فلم يزل أبو الخطّار يلاطفهم حتى استأمنوا إليه وأقاموا معه، وتوسّع لهم في البلاد»[22].

ويقول الحميدي في كتاب «جذوة المقتبس» في التعريف بثعلبة بن سلامة العاملي[23]: «ثعلبة بن سلامة الجذامي، كان من أمراء العساكر التي لقيت خوارج البربر بنواحي طنجة، فانهزم إلى الأندلس مع بلج بن بشر وجماعة من أهل الشام، وأثاروا الفتن فيها حتى قتل عبدالملك بن قطن الأمير بالأندلس، وزاد الاضطراب إلى أن ورد أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي والياً من قبل حنظلة ابن أبي صفوان أمير إفريقية، فجمع الكلمة، واستظهر على من أثار الفتنة، ففرق جموعهم، وأخرج ثعلبة بن سلامة ومن معه في سفينة إلى إفريقية. ذكره عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم».

وقد اختلفت المصادر في مدّة ولاية ثعلبة، فمنهم من جعلها خمسة أشهر[24]، ومنهم من جعلها عشرة أشهر[25]. أمّا المقّري في «نفح الطيب» فيقول[26]: «ثم

ولي ثعلبة بن سلامة الجذامي، وغلب على إمارة الأندلس بعد مهلك بلج، وانحاز عنه الفهريون فلم يطيعوه، وولي سنتين أظهر فيهما العدل، ودانت له الأندلس عشرة أشهر، إلى أن مالت به العصبية في يمانيته، ففسد أمره، وهاجت الفتنة، وقدم أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي من قبل حنظلة بن صفوان، عامل إفريقية، ركب إليها البحر من تونس سنة خمسٍ وعشرين».

ويظهر في هذا النصّ أن خلطاً قد وقع بين الحديث عن ثعلبة والحديث عن أبي الخطّار الكلبي.

- دخول أبي الخطّار حسام بن ضرار الكلبي إلى الأندلس ومصير ثعلبة:

عندما اشتدّ الخلاف في الأندلس بين البلديّين والبربر من جهة والعرب الشاميّين بزعامة ثعلبة بن سلامة العاملي من جهة أخرى، كاتب أهلُ الأندلس حنظلة بن صفوان والي إفريقيا والمغرب يسألونه أن يبعث إليهم والياً يجتمعون عليه، فبعث أبا الخطّار الحسام بن ضرار الكلبي، فأطاعوه واجتمعوا عليه، ودانت له الأندلس جمعاء وذلك سنة 125هـ[27].

يقول مؤلّف كتاب «فتح الأندلس» إنّ ثعلبة «خرج في يومه ذلك من قرطبة قافلاً إلى المشرق، فأراد من دخل مع بلج من أهل الشام الخروج مع ثعلبة وأن لا يتخلّفوا عنه، فلم يزل أبو الخطّار يلاطفهم حتى استأمنوا إليه وأقاموا معه، وتوسّع لهم في البلاد»[28].

أمّا الحميدي في جذوة المقتبس فيقول عن أبي الخطّار إنّه «استظهر على من أثار الفتنة، ففرّق جموعهم، وأخرج ثعلبة بن سلامة ومن معه في سفينة إلى إفريقية»[29].

وعندما دخل أبو الخطّار يقول صاحب «أخبار مجموعة»[30]: «رضي به الشاميّون والبلديّون وأطلق الأسرى والسبي، فسُمِّيَ ذلك العسكر عسكر العافية، وأفلت ثعلبة بن سلامة وعثمان بن أبي نسعة وعشرة من قوّاد الشام». ويقول ابن القوطية في كتابه «تاريخ افتتاح الأندلس»[31] إنّ أبا الخطّار « وكّل على ثعلبة بن سلامة العاملي، وعلى الوقاص بن عبدالعزيز الكناني، وعلى عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، من يخرجهم من الأندلس، وقال لهم: «قد ثبت عند أمير المؤمنين، وعند عامله حنظلة بن صفوان، أنّ فساد الأندلس بكم. فخرجوا، وخلّفوا إلى طنجة».

وذكر ابن عذاري في «البيان المغرب»[32] أنّ أبا الخطّار عندما حلّ بقرطبة «ألفى ثعلبة بن سلامة بالمصارة، ومعه الأسرى والسبْي من عرب قرطبة، قد اشتبك في الحبال الولد بالوالدُ، فأمر أبو الخطّار بإطلاقهم، وحلّهم من وثاقهم...».

وينقل صاحب نفح الطيب عن تاريخ الرازي قوله[33]: إنه عند وصول أبي الخطّار إلى الأندلس: «أقبل إليه ثعلبة وابن أبي نسعة وابنا عبدالملك، فلقيهم وأحسن إليهم». ثمّ يقول[34]: «وقفل ثعلبة إلى المشرق، ولحق بمروان بن محمد، وحضر حروبه».

أمّا ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» فيقول عن ثعلبة بن سلامة العاملي[35]: «ولي الأردنّ والأندلس، وقتل مع مروان بن محمد، وله عقبٌ ببلّة العاملين من ريّة». ولعلّ ابن حزم يشير بعقبه في ريّة إلى أبي الأصبغ عبدالسلام بن عبدالله بن ثعلبة، وكان والياً على ريّة عند وصول المجوس إلى ساحلها سنة 247هـ في أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن، فاجتهد في دفعهم، وسدّ مراسي ريّة، فلم يجدوا فيها مدخلاً، وجرت بينه وبينهم حروب تغلّب فيها عليهم، وقتل منهم قتلاً ذريعاً حتّى فرّوا إلى ساحل تدمير. وتوفي عبدالسلام سنة 275هـ. (المقتبس لابن حيّان/ تحقيق مكّي 313-312؛ أدباء مالقة لابن خميس 273-272).

وينفرد عبدالملك بن حبيب (ت238هـ) في «كتاب التأريخ» بالقول عن ثعلبة[36]: «ثم ثار عليه عبدالرحمن بن حبيب وأميّة وقطن ويوسف فيمن تبعهم، فقاتلوه، ومات في المعركة بسبعة أيّام».

توطين قبائل جند الأردنّ في ريّة ومالقة سنة 125هـ

عندما ولي أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي الأندلس، وكان شجاعاً كريماً حازم الرأي، كثر أهل الشام عنده[37]، ولم تحملهم قرطبة، فشكا البلديّون والبربر من الشاميّين وقالوا: « لا محمل فينا لهؤلاء الشاميّين فيخرجوا عنّا. ثمّ نظر في إنزال الشاميّين في كور الأندلس وتفريقهم عن قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، فأنزل أهل دمشق بإلبيرة (غرناطة) وأهل الأردنّ بريّة (مالقة)، وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيّان، وأهل مصر بباجة وقطيعاً منهم بتدمير، وكان إنزالهم على أموال أهل الذمّة من العجم، وبقي البلديّون والبربر على غنائهم لم ينقصهم شيء[38].

وحول معايير هذا التوزيع يقول صاحب كتاب «فتح الأندلس»[39] : «فأنزل كلّ قوم على قدْر منازلهم في المشرق، وأنزل في كورتيْ أكشبونة وباجة جند مصر مع البلديّين الأول وأنزل باقيهم في كورة تدمير، وأنزل في كورتيْ ريّة جند الأردنّ، وفي كورة إلبيرة جند دمشق، وأنزل في كورة جيّان جند قنسرين، وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمّة من العجم طعمة، وبقي العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يتعرّض لهم في شيء منها، فلّما رأوا بلاداً تشبه بلادهم وتوسعةً سكنوا واغتبطوا وتموّلوا».

ويقول مؤلّف كتاب « أخبار مجموعة في فتح الأندلس»[40] عن أبي الخطّار: «وأنزل أهل الشام في الكور».

أمّا ابن الأبّار القضاعي مؤلّف كتاب «الحلّة السيراء» فيتحدث عن أبي الخطّار قائلاً[41] : «ولم يقدّم في ولايته الأندلس شيئاً على تفريق جميع العرب الشاميّين الغالبين على البلد عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديّين على شبه منازلهم في كور شامهم، وتوسّع لهم في البلاد: «فأنزل في كورتيْ إشبونة وباجة جند مصر مع البلديين الأول، وأنزل باقيهم في كورة تدمير. وأنزل في كورتي لبلة وإشبيلية جند حمص مع البلديين الأوَل أيضاً. وأنزل في كورتي شذونة و الجزيرة جند فلسطين. وأنزل في كورة ريّة جند الأردنّ. وأنزل في كورة إلبيرة جند دمشق. وأنزل في كورة جيّان جند قنسرين. وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمّة من العجم طعمة... فلمّا رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعةً سكنوا واغتبطوا وتموّلوا».

ويتحدث ابن عذاري المرّاكشي في كتابه «البيان المغرب» عن هذا التوزيع قائلاً[42]: «وفرّق أهل الشام على الكور، ونظر لسواهم أيضاً بأحسن النظر، فأنزل أهل دمشق بإلبيرة، وأهل الأردنّ بريّة، وأهل فلسطين بشذونة، وأهل حمص بإشبيلية، وأهل قنسرين بجيّان، وأهل مصر بباجة، وبعضهم بتدمير. وكان إنزالهم على أموال العجم من أرضٍ ونعم».

وقد نقل لسان الدين بن الخطيب عن أبي مروان ابن حيّان أن الذي أشار عليه بهذه الفكرة هو أرطباس زعيم عجم أهل الذمة بالأندلس، قائلاً[43]: «قال أبو مروان: أشار على أبي الخطّار أرْطباسُ قومسُ الأندلسُ وزعيم عجم الذمّة ومستخرجُ خراجهم لأمراء المسلمين -وكان هذا القومس شهير العلم والدهاء- لأوّل الأمر، بتفريق القبائل الشاميّين العلمين عن البلد، عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، وإنزالهم بالكور على شبه منازلهم التي كانت في كور شامهم، ففعل ذلك على اختيار منهم، فأنزل جند دمشق كورة إلبيرة، وجند الأردنّ كورة جيّان، وجند مصر كورة باجة وبعضهم بكورة تدمير، فهذه منازل العرب الشاميّين، وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمّة من العجم طعمة... فلّما رأوا بلداناً شبه بلدانهم بالشام نزلوا وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتموّلوا، إلاّ مَنْ كان قد نزل منهم لأوّل قدومه في الفتوح على غَنائهم موضعاً رضيّاً، فإنه لم يرتحل عنه، وسكن به مع البلدّيين».

ويتضح من هذا النصّ أنّ تفريق هذه القبائل الشاميّة كان باختيار منهم وليس إلزاماً لهم.

ويقول صاحب الإحاطة إن الهدف من هذا التوزيع هو «ليكون أبعد للفتنة»[44]. وقد نجح أبو الخطّار بذلك من إخراج القبائل الشاميّة عن قرطبة.

وينقل صاحب «نفح الطيب» عن تاريخ الرازي قوله: إنّ هذه الأماكن الجديدة سميّت أيضاً بأسماء الأماكن التي جاءوا منها من الشام، فيقول عن أبي الخطّار[45]: «وكثر أهل الشام عنده، ولم تحملهم قرطبة، ففرّقهم في البلاد، وأنزل أهل دمشق إلبيرة لشبهها بها، وسمّاها دمشق، وأنزل أهل حمص إشبيلية، وسمّاها حمص، وأهل قنسرين جيّان، وسمّاها قنسرين، وأهل الأردنّ ريّة ومالقة، وسمّاها الأردنّ، وأهل فلسطين شذونة، وهي شريش، وسمّاها فلسطين، وأهل مصر تدمير، وسمّاها مصر».

وخلاصة الأمر أنه بعد دخول أبي الخطّار حسام بن ضرار الكلبي إلى الأندلس وخروج واليها الذي جاء من جند الأردنّ ثعلبة بن سلامة العاملي إلى المشرق، نجح أبو الخطّار في استمالة الآلاف ممّن قادهم ثعلبة من أهالي جند الأردنّ وإبقائهم في الأندلس. وعندما قام ابو الخطّار بتوزيع الشاميّين على مواطن جديدة في الأندلس ليبعدهم عن قرطبة ويضع حدّاً للفتنة التي كانت مشتعلة بين البلديّين والشاميّين، اختار بناءً على نصيحة من أرطباس قومس الأندلس، أن تكون مواطنهم الجديدة تشبه المواطن القديمة التي جاؤوا منها وتتساوى مع مقدار ما كان لهم في المشرق، فأنزل أهالي جند الأردنّ في كورة ريّة التي تعدّ مالقة من أهمّ مدنها، وأطلق عليها اسم الأردنّ.

أوجه الشبه بين مالقة والأردنّ:

من الأسس التي اعتمدها أبو الخطّار الكلبي في توزيع أهالي المناطق الشامية على كور الأندلس تشابه المدينة التي جاؤوا منها مع المدينة التي أنزلوا فيها، بالإضافة إلى التشابه في الأهميّة، ولذلك فإنّ من المفترض أن تكون كورة ريّة الأندلسيّة شبيهة بمنطقة جند الأردنّ التي جاء منها المهاجرون والمحاربون الأردنيّون. فما هي أوجه الشبه بين مالقة والأردنّ؟

كان جند الأردنّ في العصر الأموي يضمّ كلّاً من طبريّة، وهي قاعدة الأردن[46]، وكورة السامرة، وكورة بيسان، وكورة فحل، وكورة جرش، وكورة بيت راس، وكورة جدر، وكورة آبل، وكورة سوسيّة، وكورة صفوريّة، وكورة عكّا، وكورة قَدَس، وكورة صور[47]. وتضمّ أيضاً اللجّون[48]. ومن سواحل جند الأردنّ صور وعكّا، وبصور صناعة المراكب[49].

وفي الكور التابعة للأردنّ يقول ياقوت الحموري في معجم البلدان[50]: «وللأردنّ عدة كور منها: كورة طبرية، وكورة بيسان، وكورة بيت راس، وكورة جَدَر، وكورة صفّورية، وكورة صور، وكورة عكّا، وغير ذلك». ومن مدن الأردنّ أيضاً الغور وأريحا والعوجاء وجرش وقَدَس والجولان، ولم تزل الصناعة من الأردنّ بعكّا إلى أن نقلها هشام بن عبدالملك إلى صور[51]. وكان الأردنّ أحد أجناد الشام الخمسة[52]: جند حمص، جند دمشق، جند قنسرين، جند فلسطين، جند الأردنّ.

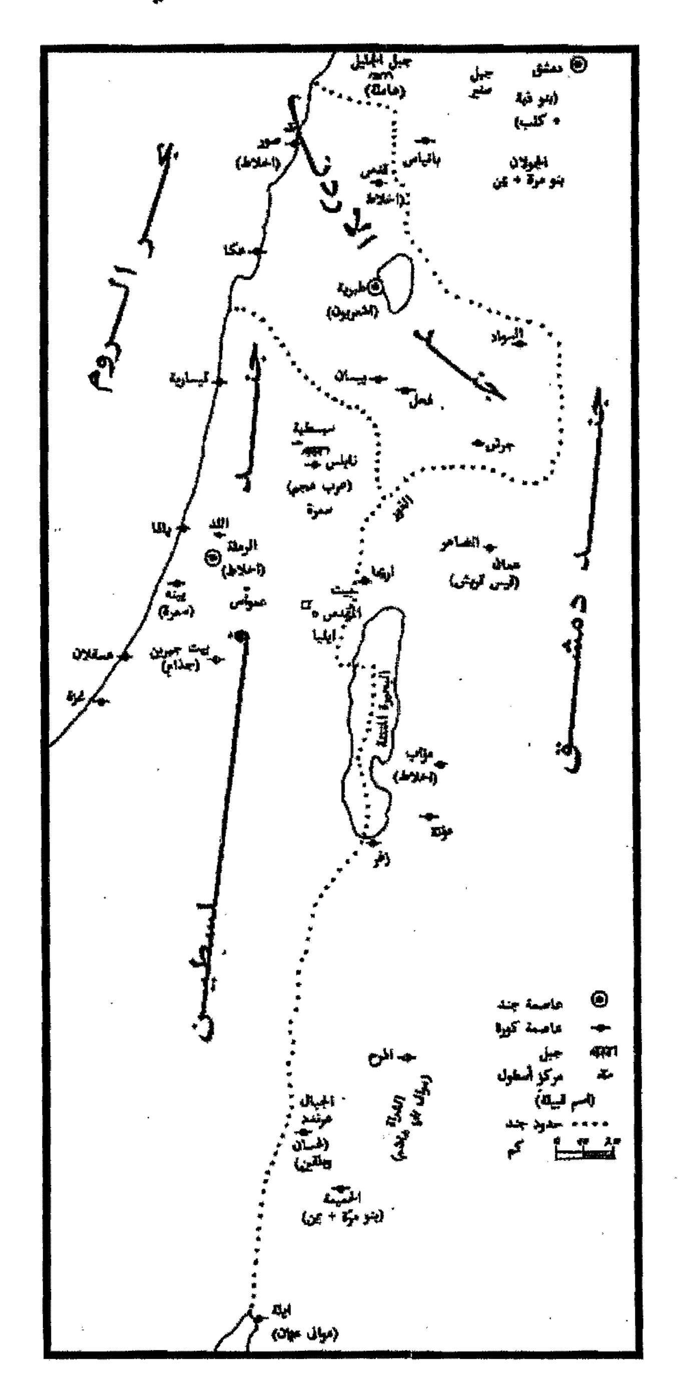
وفي حديثه عن عكّا يقول ياقوت (ت 626هـ)[53]: «اسم بلدٍ على ساحل بحر الشام من عمل الأردنّ، وهي من أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها». ويقول: «وكانت فيها صناعة بلاد الأردنّ»[54].

وفي حديثه عن صور يقول ياقوت[55]: «وهي معدودة في أعمال الأردنّ». أمّا عمّان والبلقاء والشراة ومآب وحوران فكانت تتبع لكورة دمشق[56]. وفي حديثه عن البلقاء قال صاحب معجم البلدان[57]: «كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمّان...».

وفي كتابه «تاريخ الأردنّ منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري» يقول الدكتور محمد خريسات إنّ جند الأردنّ ضمّ الكور التالية: «كورة طبرية، وكورة السامرة، وكورة بيسان، وكورة فحل، وكورة جرش، وكورة بيت راس، وكورة جدر، وكورة آبل، وكورة سوسية، وكورة صفّورية، وكورة عكّا، وكورة صور، وكورة قَدَس ورساتيقها جبل عاملة. وقد ذكرت بعد المصادر من كور هذا الجند أيضاً كورة السّواد، وكورة أريحا، وكورة زغر، وكورة عمتا (دير علّا)، وكورة حبيس، وكورة الناصرة، وكورة اللجون، وكورة أذرعات ورساتيقها جبل جرش»[58].

إنّ هذا الموقع لجند الأردنّ الممتد بين شماليّ فلسطين وجنوبي لبنان وشماليّ الأردن وصولاً إلى عكّا وصور وما بينهما، هو من أكثر المواقع خصباً ومياهاً وجمالاً وأهمية تجاريّة و تاريخية، كما أنّ امتلاكها مدينتين على الساحل الشامي:

جند الأردنّ حسب اليعقوبي



عكّا وصور، ومراكز لصناعة المراكب وغيرها فيهما، يجعل من هذين الميناءين بوّابة قويّة على البحر الأبيض المتوسط وأوروبا والأندلس خاصّة، ولذلك كان كثير من الرحّالة والحجّاج والمسافرين الأندلسيّين يؤثرون النزول في ميناء عكّا عند سفرهم إلى المشرق العربي أو عودتهم إلى الأندلس. ومن هؤلاء الرحّالة الشهير ابن جبير وأبو مروان الباجي الإشبيلي (ت635هـ)[59]. ومثلما تشابه الأردنّ مع مالقة في سواحله وموانئه النشطة، فإنهما كذلك يتشابهان في كثرة المياه وأنواع الزراعات، وخصوصاً التين والعنب واللوز والرمّان، ويشتركان في أن كلّ واحدة منهما توجد فيها حمّات مياه ساخنة. ويشتركان في الصناعات الفخاريّة وصناعة الوشي.

وقد وصف كثير من المصادر مدينة مالقة وكورة ريّة بصورة عامّة، فمن ذلك ما جاء في كتاب «الأندلس في اقتباس الأنوار»[60]: «مالقة من كورة ريّة، ومالقة مدينة أوّليّة على شاطئ البحر، وهي اليوم أعظم مدن كورة ريّة». والمقصود بمدينة أوّلية أنّ بها آثاراً للأوائل.

ومن ذلك ما قاله ابن سعيد المغربي في كتاب «المُغْرِب في حُلى المَغْرِب»[61] في وصف ريّة: «ريّة: تعرفُ الآن بمالقة، وفي القديم بريّة، وهي بحرية بريّة، ولها الوادي الربيعيّ الذي يأتي زائراً مُغِباً، فيزداد أهلها فيه غبطةً وحُبّاً، وعلى مذانبه المتفرّعة كسبائك اللجين، ما ترتاح بمرآه النفسُ والعين، وفيه أقول:

جـواريَ ريّـةٍ عـرّجْ فـإنّي رأيْتُ الحُسْنَ عنـه لا يميـلُ

وهاتِ الخمْرَ صِرفاً دونَ مَزْجٍ بحيثُ المـاءُ والظـلُّ الظليـلُ

غـدا متقسّمـاً في كلّ وجـه كما سُلّتْ على خزٍّ نُصولُ

تجولُ لواحظي ما دمتُ فيـه بحيثُ تـرى مذانبـه تجـولُ

ولمالقة ما فضلت به ما حفَّها من شجر اللوز وشجر التين، إذ هو بها طُوفان لا تزال تحمل منه الركاب والسفين، وهو مفضّل على سائر تين الأندلس، إلاّ شَعْريّ إشبيلية، فإنّ بعضهم يفضّله، ولا سيّما في دخوله في الأدوية ومنفعته. ويكفيها عن الإطناب ما يتضمّن شرح اسمها، إذ معنى ريّة عند النصارى: سلطانة (Reggio أو Reya أو Rejio) فهي سلطانة البلاد. ولها القلعة المنيعة (يشير بذلك إلى جبل فارو Gibralfaro) التي تتقلّد من المجرّة بنجاد. قال ابن سعيد: «دخلت مدينة مالقة وأقمت فيها إقامةً أرضت الشباب، وأمتعت مجالس الآداب، وكان والدي يفضلها ويعجب بها ولا سيّما في أيّام فرحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين، ولقد خرجنا إلى كرم أقمنا فيه مدّة منفعته، فعددنا ذلك من أيام النعيم، إذ بياضُ أبراجها في خضرة شجرها مع تناسقها وكثرتها كما قال الكاتب أبو العباس الشِلبي:

نـظـرْتُ لمـالـقــةٍ مــرّةً وقـد زيّنـوا أرْضهـا بالبُروجْ

فقلتُ: سماءٌ بدتْ زُهْرُها تضاهي نجومَ السّما والبُروجْ

وخمرُ مالقة مشهورة بالأندلس مفضّلة، وفيها من ضروب الوشي العجائب، ويُصْنَعُ بها الفخّار المذهّب والزجاج».

ويقول أبو الوليد الشَّقُندي في رسالته «في تفضيل الأندلس على برّ العدوة» في الحديث عن مالقة[62]: «وأمّا مالقة فقد جمعت بين منظر البحر والبرّ بالكروم المتصلة التي لا تكاد ترى فيها فرجة لموضع غامر، والبروج التي شابهت نجوم السماء، كثرة عدد وبهجة ضياء، وتخلّل الوادي الزائر لها في فصليْ الشتاء والربيع في سرر بطحائها، وتوشيحه لخصور أرجائها. وممّا اختصّت به من بين سائر البلاد التين الرّبّي المنسوب إليها، لأنّ اسمها في القديم ريّة، ولقد أُخبرتُ أنّه يباع في بغداد على جهة الاستطراف، وأمّا ما يُسفّر منه المسلمون والنصارى في المراكب البحريّة فأكثر من أن يعبّر عنه بما يحصره، ولقد اجتزتُ مرّةً وأخذتُ على طريق الساحل من سُهَيْل إلى أن بلغْتُ إلى بلّيش قدر ثلاثة أيّام متعجباً فيما حوته هذه المسافة من شجر التين، وإنّ بعضها ليجتني جميعها الطفل الصغير من لُزوقها بالأرض، وقد حوت ما يتعبُ الجماعة كثرةً. وتين بلّيش هو الذي قيل فيه للبربري: كيف رأيته؟ قال: لا تسألني عنه وصُبَّ في حلْقي بالقفّة؛ وهو لعمر الله معذور، لأنّه نعمةٌ حُرِمَتْ بلادُه منها. وقد خُصّت بطيب الشراب الحلال والحرام، حتّى سار المَثَلُ بالشراب المالقي. وقيل لأحد الخلعاء، وقد أشرف على الموت، اسأل ربّك المغفرة. فرفع يديه، وقال: يا ربّ أسألك من جميع ما في الجنّة خمر مالقة وزبيبيّ إشبيلية. وفيها تُنْسَجُ الحللُ الموشيّة التي تجاوز أثمانها الآلاف ذات الصور العجيبة المنتخبة برسم الخلفاء فمن دونهم. وساحلها محطّ تجارةٍ لمراكب المسلمين والنصارى».

ويقول صاحب «نفح الطيب» في الحديث عن مالقة[63]: «وبمالقة التين الذي يُضْرَبُ المثلُ بحسنه، ويجلب حتى للهند والصين، وقيل إنّه ليس في الدنيا مثله، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي المالقي حسبما أنشده غير واحد منهم ابن سعيد:

مالقةٌ حيّيتَ يا تينها ... الفُلْكُ من أجلك يأتينها

نهى طبيبي عنه في علّتي ... ما لطبيبي عن حياتي نهى

ويضيف قائلاً[64]: «وقال ابن بطوطّة: وبمالقة يصنع الفخّار المذهّب العجيب، ويُجْلَبُ منها إلى أقاصي البلاد، ومسجدها كبير الساحة شهيرُ البركة، وصحنُه لا نظير له في الحُسن، وفيه أشجار النارنج البديعة.

وقال قبله: إنّ مالقة إحدى قواعد الأندلس، وبلادها الحسان، جامعة بين مرافق البرّ والبحر، كثيرة الخيرات والفواكه، رأيتُ العنب يُباع في أسواقها ثمانية أرطال بدرهم صغير، ورمّانها المرسي الياقوتي لا نظير له في الدنيا. وأمّا التينُ واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق و المغرب».

ويقول ابن فضل الله العمري في كتابه «مسالك الأبصار» في وصف مالقة[65]: «وأمّا مالقة فمدينة بديعةٌ كثيرة الفواكه، لها ربضان عامران أحدهما من علوها والآخر من سفلها، وبها دار صناعة لإنشاء الحراريق، وجامعها بديع، وبصحنه نارنج ونخلة، وتختصّ بعمل صنائع الجلد كالأغشية والحزم والمدوّرات، وبصنائع

الحديد كالسكين والمقصّ، والفخار المذهب الذي لا يوجد مثله في بلد، والتين الغزير الذي يجلبُ منها إلى جميع البلاد الغربية بالأندلس وغيرها، فيعمّ البلاد شتاءً وصيفاً، فلا يكاد يخلو منه دكان بيّاع، واللوز مثله في الكثرة والحُسْن والطيب، وكذلك الزبيب، وهي خصيبة جدّاً، وفي تينها يقول الشاعر:

مالقةٌ حيّيتَ يا تينها   فالفُلْكُ من أجلك يأتينها

نهى طبيبي عنه في علّتي   ما لطبيبي عن حياتي نهى

قال ابن السديد: إنّ بها سوقاً ممتدّ الأطباق تُعمل من الحوض إلى غير ذلك ممّا يعمل منه».

ويصف الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق» مالقة قائلاً[66]: «إقليم ريّة وفيه من المدن مدينة مالقة وأرشذونة ومربلّة وبُبَشْتَرْ ويسكنصار وغير هذه الحصون».

ويقول[67]: «ومدينة مالقة مدينةٌ حسنةٌ عامرةٌ آهلةٌ كثيرة الديار متّسعة الأقطار بهيّةٌ كاملةٌ سنيّة أسواقها عامرة ومتاجرها دائرة ونعمها كثيرة، ولها فيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إلى ريّة، وتينُها يحمل إلى بلاد مصر والشام والعراق، وربّما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين طيباً وعذوبةً. ولمدينة مالقة ربضان كبيران ربض فنتنالة وربض التبّانين، وشربُ أهلها من مياه الآبار، وماؤها قريب الغور كثيرٌ عذب، ولها وادٍ يجري في أيام الشتاء والربيع وليس بدائم الجري».

ويقول أيضاً[68]: « ومدينة مالقة مدينة حسنةٌ حصينةٌ ويعلوها جبل يسمّى فارُه، ولها قصبةٌ منيعةٌ وربضان لا أسوار لهما، وبهما فنادق وحمّامات. وبها من شجر التين ما ليس بأرْض، وهو التين المنسوب إلى الريّة، ومالقة قاعدة ريّة...».

أمّا ياقوت الحموي فيصف في «معجم البلدان» كورة ريّة قائلاً[69]: «ريّة: كورةٌ واسعة بالأندلس متّصلة بالجزيرة الخضراء، وهي قبليّ قرطبة، وهي كثيرة الخيرات، ولها مدن وحصون ورستاق واسع ذكر متفرّقاً، ولها من الأقاليم نحو من الثلاثين كورة، يسمّي أهل المغرب الناحية إقليماً، وفيها حمّة، يعني عيناً تخرج حارّة، وهي أشرف حمّات الأندلس لأنّ فيها ماءً حارّاً وبارداً...».

ويقول عن مالقة[70]: «مدينة بالأندلس من أعمال ريّة، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمريّة».

ويقول الحميري في كتابه «الروض المعطار» في الحديث عن كورة ريّة[71]: «كورة من كور الأندلس في قبليّ قرطبة، نزلها جند الأردنّ من العرب، وهي كثيرة الخيرات».

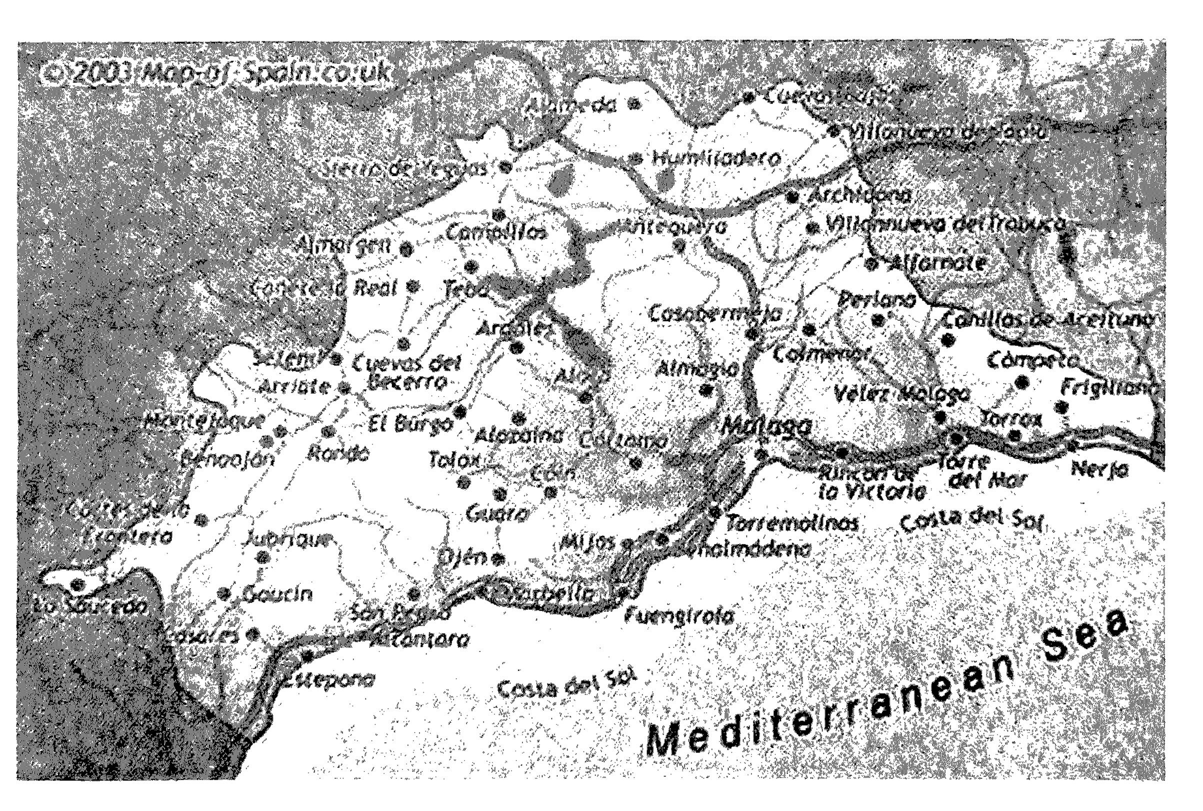
ويقول عن مالقة [72]: «مالقة بالأندلس مدينةٌ على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبليّها. وهي حسنة عامرة آهلة كثيرة الديار، وفيما استدار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهو يُحْمَلُ إلى مصر والشام والعراق، وربّما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين طيباً وعذوبة».

وممّا تشتهر به مدينة مالقة الزجاج الغريب العجيب والفخّار المزجّج المذهّب والوشي المذهّب وصناعة الحرير[73].

وقال ابن سعيد المغربي عندما أجرى ذكر قرية نارجة[74]: «وهي قرية كبيرة تضاهي المدن، وقد أحدقت بها البساتين، ولها نهر يفتن الناظرين، وهي من أعمال مالقة، إنه اجتاز مرّة عليها مع والده أبي عمران موسى، وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم، وقد ضربوا في بطن الوادي بين مقطعاته خيماً، وبعضهم يشرب وبعضهم يغني ويطرب. وسألوا: بم يُعرف ذلك الموضع؟ فقالوا: الطراز. فقال والدي: اسم طابق مسمّاه، ولفظٌ وافق معناه».

وفي حديثه عن جغرافية مالقة يقول أبو الحسن النباهي في كتابه «تاريخ قضاة الأندلس» نقلاً عن أبي عبدالله ابن عسكر: «وحدُّ عمالتها في القديم، من جهة الشرق الحمّة حيث الماء السخن العجيب الغريب، ومن ناحية الغرب حصن الورد المعروف الآن بمنت ميور، القريب من مربلّة، ومن جهة الجوف وادي شنيل، حيث حصنُ ابن بشير، والرنيسول، ثمّ الأرض المعروفة بالخنوس، إلى قرية جيّان القريبة من إستّبة إلى حوز مورور..... أمّا الاسم المنطلق على جميع الكورة فريّة، وأظنّها اسماً أعجميّاً، والريُ عندهم الملِكُ ونحوُه، وبهذا الاسم توجد في كتب الأعاجم» (تاريخ قضاة الأندلس ص 82).

وممّا يتبع لمالقة وريّة من البلدات : ألورة (Alora)، أرشذونة (Archidona)، بُبشتَر (Babastro)، سُهيل (Fuengirola)، جبل فارُة (Gibralfaro)، مربلّة (Marbella)، حصن مُنت مايور (Montimayor)، مورور (Morón)، طُرُّش (Torrox)، بِلِّش مالقة (Velez Malaga)، وسواها



خارطة مالقة

قبائل الأردنّ ومالقة:

مثلما حرص الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك على أن تكون طالعة بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس ممثّلة لأجناد الشام كافّة، فقد حرص أيضاً على أن يكون المشاركون في هذه الطالعة من كلّ جند يمثّلون قبائل الجند كافّة، ولذلك كان المشاركون من جند الأردنّ الذين بلغ عددهم ستة آلاف مقاتل بقيادة أميرهم ثعلبة بن سلامة العاملي – والي الأردنّ – يمثّلون قبائل جند الأردنّ كافّة.

أمّا القبائل التي كانت تقيم في جند الأردنّ في العصر الأمويّ فيقول الدكتور محمد خريسات في كتابه «تاريخ الأردنّ منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري»[75]: «وبشكل عام فإنّ الغالب على سكّان جند الأردنّ في تلك الفترة قبائل من جذام وغسّان ولخم وعاملة والقين وبلي وقيس وقريش وكلب و مذحج وهمدان وخثعم والأشعريين».

أمّا جذام فكانت في المنطقة من طبرية إلى اللجون وعكّا وغيرها[76].

وأمّا غسّان فكانت في إذرح وبيت راس واليرموك[77] وغيرها.

وكانت لخم في زغز (غور الصافي) والبحر الميت والجولان وحوران[78] وغيرها.

وكانت القين في جرش وغيرها[79].

أمّا عاملة فكانت في جبل عاملة وجبال الجليل، وشاركها رهط من علّ وهمدان، وكانت في سائر جند الأردنّ وسواحله[80].

وأمّا بلي فكانت في جرش وغيرها[81].

وفي ذكره للقبائل التي كانت في الأردنّ يذكر خليفة بن خياط (ت240هـ) في تاريخه قبائل قضاعة ومذحج وهمدان وغسّان وخثعم[82].

* * *

أمّا الأشعريون، فهم بنو أشعر، وهو نبت بن أُدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهم رهط أبي موسى[83]، وكان بنو الأشعر في طبريّة[84].

وأما عاملة فهو الحارث بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[85].

وأمّا بنو غسّان، فهم الغساسنة الذين رحلوا إلى الشّام بعد سيْل العرم في اليمن، ثمّ أخرجهم الروم من دمشق فنزلوا في عمّان واليرموك و الجولان وصيدا وجبلة وتردّدوا في هذه الأماكن[86]. وغسّان بطون شتّى من الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[87].

أمّا بَلْي، فالنسبة إليها بلويّ، وذلك نسبة إلى بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة[88].

وأمّا القين، فهم من القين، وهو النعمان بن جَسْر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن عمران بن الحافي بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك ابن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[89].

وأمّا جذام، فنسبةً إلى جذام، وهو عمرو بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان[90].

وأمّا خثعم، فهم بنو أقْيل بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[91].

وأمّا الرعيني، فنسبة إلى ذي رعين، واسمه يريم بن زيد بن سهل بن قيس، من حِمْيَر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[92].

وأمّا الأنصار، فهم من ولد ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء ابن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، بن يشجب بن يعرب بن قحطان[93].

وأمّا لخم، فنسبة إلى مالك بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان[94].

وأمّا الهمْداني، فنسبة إلى همْدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[95].

ويلاحظ أن عاملة وجذام ولخم إخوة.

أمّا قبائل جند الأردنّ التي أنزلها أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي، فقد اعتمدت في تحديدها على كتابين من كتب التراجم الأندلسية المتقدّمة في الزمن هما: «كتاب أخبار الفقهاء والمحدّثين» لمحمد بن حارث الخشني (ت 361هـ)، وكتاب «تاريخ علماء الأندلس» لأبي الوليد بن الفرضي (ت403 هـ)، مثلما اعتمدت على كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم القرطبي(ت456 هـ)، واعتمدت كذلك على كتاب «أدباء مالقة» لابن خميس المالقي (ت بعد 639هـ).

أمّا كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين، فكان من بين من ترجم لهم سبعة عشر علماً من أعلام ريّة ومالقة منهم سبعة لم يحدد نسبهم، ومنهم جذاميّان وثلاثة أمويّين وعكّي[96] وعاملي وخولانيّ وأنصاريّ وبجليّ[97].

وأمّا ابن الفرضي في كتابه «تاريخ علماء الأندلس» فقد ترجم من بين من ترجم لهم لتسعةٍ وستين علماً من أعلام ريّة ومالقة، لم يحدّد نسبة أربعة وثلاثين منهم، بينما كان منهم أربعة جذاميّين، وثلاثة عامليّين، وأربعة عكّيين، وثلاثة قينيّين، وأربعة أنصاريّين، وثلاثة لخميّين، وأربعة أمويّين، ومذحجيّان، وخولانيّان، وَمعافري وسُلَميّ وتُجيبيّ ورُعينيّ وبَجْليّ وزَبيديّ.

وأمّا ابن خميس في كتابه «أدباء مالقة» فقد ترجم لمائة وثلاثة وسبعين علماً، منهم ستّون علماً طارئون على مالقة منذ فتحها حتى القرن السابع الهجري، ومنهم واحدٌ وخمسون علماً لم يحدّد أنسابهم، أمّا من تبقّى فمنهم (16) أنصاريّاً، وسبعة عاملين، وستّة جذاميّين، وأربعة غسّانيّين، وثلاثة رعينيّين، وثلاثة قيسيّين، وثلاثة همدانيّين، وثلاثة كلبيّين، ومَعافريان وخثعميان وبلويّان، ولخميّ، وعكيٌّ وأشعريّ، وشعبيّ، وقضاعيّ، وقينيّ، وأمويّ، وكلاعيّ، ومخزوميّ.

ويلاحظ أنّ ابن خميس المالقي يحاول أن ينبه إلى من كان من هؤلاء الأعلام من أبناء المهاجرين الأوائل الذين نزلوا ريّة أو مالقة، وذلك بإضفائه أوصافاً عليهم تميّزهم عن غيرهم نحو قوله: «شريف الحسب» أو «من بيوت أعيانها» أو «من أهل البيوتات الشريفة» أو «من أهل الحسب» أو «من أهل مالقة وذوي بيوتها الشريفة، قديم الحسب، شريف الأصالة» أو «من ذوي بيوتها النبيهة» أو غير ذلك[98].

ويلاحظ أيضاً أنّ ابن خميس كان غالباً ما يضفي هذه الأوصاف على من تنتهي أسماؤهم بالعاملي والجذامي والغسّاني والقيني بصفة خاصّة.

أمّا ابن حزم القرطبي فقد حدّد في كتابه «جمهرة أنساب العرب» الأماكن التي نزلت فيها القبائل العربيّة، ففي حديثه عن بني عاملة قال[99]: «منهم ثعلبة بن سلامة بن جَحْدم بن عمرو بن الأجذم بن ثعلبة بن مازن بن مُزَيْن بن أبي مالك بن

أبي عزم بن عوكلان بن الزهد بن سعد بن الحارث، ولي الأردنّ والأندلس، وقتل مع مروان بن محمد، وله عقبٌ ببلّة لعاملين من ريّة».

وفي حديثه عن جُذام يقول[100]: «ودارُهم بالأندلس شَذُونة والجزيرة». ويقول عن بني شعبان بن عمرو من حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[101]: «ومَن كان منهم بالشام والأندلس انتسبوا شعبانيين، إلاّ رجلاً بمالقة ينتسب شعبياً». (لعلّ ابن حزم يقصد: أبا المطرّف عبدالرحمن بن قاسم الشعبي المالقي الفقيه المشهور (402-497هـ) وهو معاصر لابن حزم، كان فقيه مالقة في عصره، وله شعر ومؤلفات (انظر ترجمته في أدباء مالقة 260-262؛ بغية الملتمس للضبي 370؛ الصلة لابن بشكوال 344/2؛ تاريخ قضاة الأندلس للنباهي 107-108).

وفي حديثه عن ذي رعين من حمير بن سبأ... بن قحطان يقول[102]: «ودار ذي رعين بالأندلس الفحص المنسوب إليهم بريّة».

وفي حديثه عن أبناء قضاعة يذكر منهم أبان بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة ويقول[103]: «وأبان هؤلاء كلّهم سكنوا الشام ومنهم بالأندلس بريّة».

وفي حديثه عن بني القين من قضاعة، يقول[104]: «وكان للقين جمعٌ عظيمٌ وثروة عظيمة في أكناف الشام... ودار بني قيْن بالأندلس ريّة فمنهم بها عددٌ عظيم».

وفي حديثه عن بني الأشعر، وهو نَبْت بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، يقول[105]: «ودارُ بني الأشعر بالأندلس ريّة».

وعندما يتحدث عن بني النمر بن قاسط بن أفصى بن دُعميّ بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار، يقول[106]: «ودار بني النمر بن قاسط بالأندلس: وضّاح من عمل ريّة».

وعندما يتحدث عن ولد عمرو بن مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ابن حارثة يقول[107]: «ومنهم بريّة بنو عُشَيْم بن سفيان بن عبدالله بن جبير بن فائد بن وائلة بن حارثة بن أرطأة بن أسود بن جبلة بن بهتة بن أسود بن أفصى ابن ثعلبة بن عديّ بن مالك بن النجار، وهم بقرطمة (من أعمال ريّة) فكانوا يحملون الألوية للخلفاء بني مروان». وفي حديثه عن غسّان يقول[108]: «وكثير منهم بصالحة قرية على طريق مالقة».

ويستنتج من ذلك أنّ أشهر القبائل التي نزلت في كورة ريّة ومدينة مالقة هي عاملة وجذام وغسّان والقين والأشعريّون، وهي ذاتها قبائل جند الأردنّ. كما أنّ وجود هذه القبائل في مالقة لا يعني أنها لم تنتشر في أماكن أخرى في الأندلس، وبخاصّة قرطبة أو الأقاليم المجاورة لمالقة وخاصّة الجزيرة وشذونة، إلاّ أنّها تركّزت بشكل خاص في مالقة وقراها.

دور المهاجرين من جند الأردنّ بعد استقرارهم في مالقة في الأحداث التي جرت بالأندلس خلال الحكم الأموي

كان عدد من خرج في طالعة بلج بن بشر القشيري من جند الأردنّ نحو ستّة آلاف مقاتل[109] بقيادة ثعلبة بن سلامة العاملي -كما ذكر سابقاً- غير أننا لا نعرف عدد من وصل منهم سالماً إلى قرطبة بعد دخول بلج إليها، فقد قتل عدد كبير ممّن ساروا في طالعة بلج في الحروب التي تعرّضوا لها من البربر في إفريقيا والقيروان وطنجة قبل وصولهم إلى سبتة، لكن يستدلُّ من بعض الأرقام الواردة في الأخبار التاريخية، أنّ العدد الذي وصل سالماً إلى الأندلس من أهل الأردنّ كان مازال يعدّ بالآلاف، فبعد أن أنزلهم أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي في كورة ريّة ومالقة سنة 125هـ استطاع هؤلاء الأردنيّون أن يمدّوا عبدالرحمن الداخل سنة 138هـ بألف وأربعمائة فارس قبل خوضه معركة المصارة ضدّ يوسف الفهري والصميل بن حاتم، فقد ورد في البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي، نقلاً عن تمّام بن علقمة قوله[110]: «فدخلنا ريّة في ستمائة فارس وخرجنا منها في ألفي فارس».

ومن المعلوم أنّ هؤلاء المهاجرين عندما جاءوا إلى الأندلس كانوا محاربين ولم تكن معهم عائلاتهم، وقد اضطروا بسبب ذلك إلى الزواج في الأندلس بعد أن استقرّوا في مالقة، وأخذ مجتمعهم ينمو ويتعاظم تدريجياً، وأصبح لهم بها عقبٌ. وقد تشبّث النازلون من أهالي جند الأردنّ في مالقة بمدينتهم، واستقرّوا بها، وقلّما استبدلوا بها مدينة أخرى إلاّ للضرورة، ولكننا مع ذلك نجد من قبائل جذام ولخم وغسّان من أقام في مدنٍ قريبة مثل غرناطة ووادي آش وجيّان والمريّة وإشبيلية، كما انتقل إلى مالقة كثير من أبناء المدن المجاورة وأقاموا بها، إلاّ أنّ الطابع الذي ظلّ غالباً على كورة ريّة ومدينة مالقة هو طابع سكّانها المنحدرين من قبائل جند الأردنّ.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه مثلما كان جُندا الأردنّ وفلسطين متجاورين ومتداخلين وتسكنهما قبائل واحدة، فكذلك كان جُند الأردنّ وفلسطين في الأندلس، متجاورين ومتداخلين وبينهما أواصر دم وقربى وانتماء لقبائل واحدة: لخم وجذام وعاملة وغسّان. ومن المعلوم أن لخماً وجذاماً وعاملة هم إخوة وهم أبناء عديّ ابن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيْد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان. (جمهرة أنساب العرب لابن حزم 419).

* * *

وما إن استقرّت الأندلس قليلاً بعد تولّي ابي الخطّار الكلبي الأندلس وتوزيعه قبائل الشام على الكور، حتّى انحاز أبو الخطّار إلى يمانيته، فنشبت فتنة

القيسية واليمانية من جديد، وقاد القيسية في هذه الفتنة الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن، وقاد اليمانية أبو الخطّار الكلبي، وفي هذه الأثناء أجمع الأندلسيّون على تعيين ثوابة بن سلامة الجذامي من جند فلسطين والياً على الأندلس، فغضب أبو الخطّار لذلك فغزاهم، فوقع قتال انهزم على إثره أبو الخطّار وأسر، ووضعه ثوابه في القيود في قرطبة، فولي ثوابة الأندلس سنة ثمّ توفي سنة 129هـ[111].

ظهور نجم يحيى بن حُرَيْث الجذامي من جند الأردنّ:

عندما توفي ثوابة بن سلامة الجذامي سنة 129هـ، وكان أبو الخطّار أسيراً في سجنه، دعا يحيى بن حريث من أهل الأردنّ إلى نفسه، فقال ثوابة بن عمرو: وأنا أولى بهذا الأمر. فلم يزالوا يتراضون الأمر بينهم حتى اجتمعوا على يوسف ابن عبدالرحمن بن عقبة بن نافع الفهري، واتفقوا على أن يتركوا كورة ريّة ليحيى ابن حريث وبها سكنى أهل الأردنّ، فرضي يحيى. وفي هذه الأثناء قام قومٌ من قضاعة بالهجوم على السجن الذي كان فيه أبو الخطّار وهربوا به.

ولما اجتمع الناس على يوسف الفهري واستقام له الأمر، لم يلبث أن غدر بيحيى ابن حريث وعزله عن كورة ريّة. فغضب ابن حريث وكاتب أبا الخطّار واجتمعا، فقال أبو الخطّار: أنا الأمير! وقال ابن حريث: أنا أقوم بالأمر لأنّ قومي أكثر من قومك. ويدلّ قول ابن حريث على أن أهالي جند الأردنّ كانوا يمثّلون قوة كبيرة

في الأندلس. فلمّا رأت قضاعة ما يدعو إليه ابن حريث أحبّوا جمع كلمة اليمن كلّها، فأجابوا ابن حريث، وقدّموه، فأصفقت يمن الأندلس حِمْيَرُها وكندتها ومذحجها وقضاعتها، وانحازت خيار مضر وربيعة إلى يوسف الفهري والصميل ابن حاتم، ولحق خيار اليمن بابن حريث من كلّ الأجناد... فزحف ابن حريث وأبو الخطّار إلى يوسف والصميل بقرطبة، فأقبلا حتّى نزلا على نهر قرطبة بقبلتها بقرية شقندة، فعبر يوسف والصميل النهر إليهما، ودارت معركة حامية أسفرت عن أسر ابن حريث وأبي الخطّار وقتلهما سنة 131هـ، في قصّة طويلة.

يقول صاحبُ «أخبار مجموعة في فتح الأندلس»[112]: «وهي أوّل حربٍ كانت في الإسلام بهذه الدعوة، لم تكن حربٌ قبل هذه الوقيعة، وهي الفتنة العظمى التي بها يُخافُ بوار الإسلام بالأندلس، إلاّ أن يحفظه الله».

وفي وصفه لهذه الوقعة يقول: «فزحف ابن حريث وأبو الخطّار إلى يوسف والصميل بقرطبة، فأقبلا حتّى نزلا على نهر قرطبة بقبليّها بقرية شَقُندة، وعبر يوسف والصميل النهر إليهما بمن معهما، فالتقوا حين صلّوا الصبح، فتطاعنوا على الخيل حتى تقصّفت الرماح، وثبتت الخيل، وحميت الشمس.

ثمّ تداعوْا إلى البراز، فتنازلوا وتضاربوا بالسيف حتّى تقطّعت، ثمّ تقابضوا بالأيدي والشعور، لم يكن في الإسلام صبرٌ مثله، إلاّ ما يُذكر من صفّين، ولم يكن القوم بكثير لا هؤلاء ولا هؤلاء، وإنّما كانوا خياراً من الفريقين، وكانوا متقاربين، إلاّ أنّ اليمن كانوا أكثر قليلاً، فلمّا أعيا بعضهم بعضاً تواقفوا يضربُ

بعضهم وجوه بعض بالقسيّ والجعاب، ويحثي بعضهم التراب على بعض، إذ قال الصميل ليوسف: ما وقفنا إذْ خلّفنا جنداً نحن منهم في غفلة؟! قال: ومن هم؟ قال: أهل السوق بقرطبة، فردّ إليهم يوسف مولاه خالد بن يزيد وصاحب. . . فأَخْرجا منهم نحواً من أربعمائة راجل معهم الخشب والعصيّ، ومع قليل منهم السيف والمزارق، فخرج الجزارون بسكاكينهم، فجاءوا إلى قوم موتى، وقد مضت الظهر والعصر لم يصلّوها لا صلاة خوف ولا أمن، فجرّدوهم وقتلوا وأسروا بشراً كثيراً خياراً، وأسروا أبا الخطّار وابن حريث، وكانا الأميرين، وكان ابن حريث لمّا رأى أهل سوق قرطبة يقتلون أصحابه، تغيّب ودخل تحت سرير الرّحى التي بموضع بيع الخشب، فلمّا أسروا أبا الخطّار وهمّوا بقتله قال: ليس عليّ فوت ولكن عندكم ابن السوداء ابن حريث، فدلّ عليه، فأُخرج، وقُتلا جميعاً. وكان ابن حريث يقول: لو أنّ دماء أهل الشام جمعت لي في قدح لشربتها، فلمّا استُخرِج قال له أبو الخطّار: يا ابن السّوداء! هل بقي في قدحك شيءٌ لم تشربه؟! فقتلا، وأُسِر منهم بشرٌ كثير، ثمّ أُتي بالأسرى، وقعد لهم الصميل في كنيسةٍ كانت في داخل مدينة قرطبة، وهي اليوم موضع مسجدها، فضرب أوساط سبعين منهم، فلمّا رأى ذلك قاسم بن فلان أبو عطا بن حمد المرّي قام إليه فقال له: أبا جوْشن! أغمِدْ سيفك، وراجع سيفك!! قال له: اقعد أبا عطاء، فهذا عزّك وعزُّ قومك. فجلس ولم يغمد السيف. ثمّ قام إليه فقال له: يا أعرابي! والله إن تقتلنا إلاّ بعداوة صفّين! لتكفّنّ أو لأدعونّ بدعوةٍ شاميّةٍ. فأغمد سيفه وأمّن الناس على يديْ أبي عطاء بعد بلاءٍ عظيم، فيقال،

والله أعلم، إن تلك الوقيعة توجد في بعض العلم أنّها قاطعة الأرحام، وكانت قبل سنة إحدى وثلاثين ومائة، قال: فأعقبهم الله بالجوع والقحط...».

وعرفت هذه الوقعة بوقعة شقندة[113].

قبائل جند الأردنّ تساند عبدالرحمن الداخل:

لمّا وصل عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى ساحل المنكّب في الأندلس سنة 138هـ فارّاً من وجه العبّاسيّين «أقبل إليه عبدالله بن خالد وأبو عثمان [عبيدالله بن عثمان] فنقلاه إلى قرية طرّش منزل أبي الحجّاج، فجاءه أبو الحجّاج يوسف بن بخت، وجاءته الأمويّة كلّها، وجاءه جدار بن عمرو المذحجي من أهل ريّة كان بعد ذلك قاضيه في العساكر...[114].

وفي أثناء إقامته بطرّش في منزل أبي الحجّاج يوسف بن بخت «كان عنده جماعةٌ من بني أميّة ورجالٌ من اليمن يختلفون إليه ويعتقبون به المقام عنده منهم دمشقيّون وأردنيّون وقنسريون»[115].

ولمّا أخذ يوسف الفهري بالاستعداد لمجابهة عبد الرحمن الداخل لم يكن عند الداخل بعد ما يكفيه من القوّة لمواجهة الفهري والقيسيّة، فقرّر أن يطلب العون من أجناد اليمن في الأندلس: حمص وفلسطين والأردنّ «فخرج حتى أتى أهل الأردنّ، وهم إليه أقرب، فأجابته اليمن وقضاعة كلّها، واستحبّوا أن

يأتي الأجناد الأخر، وخفّ معهم من أهل الأردنّ من خيارهم ناسٌ قليل، فسار حتى أتى طرف شذونة حيث أهل فلسطين، فتسّرع إليه سراة القوم وحماة الجند...»[116].

وكان عبدالرحمن الداخل ما إن وصل إلى ريّة حتّى بايعه عاملها عيسى بن مساور، ولمّا وصل إلى شذونة بايعه عتّاب بن علقمة اللخمي[117].

ويذكر صاحب البيان المغرب أنّ أبا الحجّاج يوسف بن بخت مضى إلى جند الأردنّ فأخذ بيعة جميعهم، ومضى عبدالله بن خالد إلى جند حمص، ومضى تمّام بن علقمة إلى أهل فلسطين، وأقبل الناس من كلّ مكان[118].

أمّا يوسف الفهري وبناءً على نصيحة الصميل بن حاتم فأراد مخادعة عبدالرحمن الداخل «فأجمع رأيه على تأنيسه بأن يزوّجه ابنته ويسكنه في أيّ الجندين شاء من دمشق أو الأردنّ (المقصود إلبيرة أو مالقة) أو يسكن بينهما ويصير إليه أمر الكورتين»[119].

قال تمّام بن علقمة: «فخرجنا إلى جدار بن عمرو والي جند الأردنّ (ريّة ومالقة)، واجتمعنا إليه، فأتيناه في ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويّين وممّن أقبل إليه من وجوه العرب، ثمّ كاتبنا أهل قنسرين وفلسطين»[120].

وفي أثناء تنقّل عبدالرحمن الداخل من إلبيرة إلى كورة ريّة (حيث يوجد جند الأردنّ) إلى شذونة إلى موروور إلى إشبيلية، كان الناس يتلقونه بالبشر

والترحيب، ويعطونه من الانقياد والطاعة أوفى نصيب. قال تمام بن علقمة: «فدخلنا ريّة في ستمائة فارس وخرجنا منها في ألفي فارس»[121].

وفي شهر ذي الحجّة من سنة 138هـ دارت معركة المُصّارة على نهر قرطبة بين قرطبة وإشبيلية بين الداخل ومن معه من العساكر من جهة وبين يوسف الفهري ومن معه من القيسية، انتهت بهزيمة يوسف الفهري والصميل ودخل عبدالرحمن الداخل إلى قرطبة واستولى عليها[122].

وكان مجموع العساكر مع عبدالرحمن الداخل ثلاثة آلاف فارس نصفُهم تقريباً من أهل الأردنّ، يقول تمام بن علقمة: «فدخلنا ريّة في ستمائة فارس وخرجنا منها في ألفي فارس، وخرجنا من إشبيلية إلى قرطبة في ثلاثة آلاف فارس»[123]. وقد أبلى فرسان الأردنّ في معركة المصارة، فبينما كان عبدالرحمن الداخل «يطوف بعسكره ويشرف على أحوال رجاله في معتركهم، فنظر إلى رجل من الفرسان قد نزل عن فرسه وظهرت منه كفايةٌ في مقامه، وهو يتمثّل بقول الشاعر:

لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلْنا وأخو الحرْبِ من أطاقَ النزولا

فقال (عبدالرحمن الداخل) لفتى له: انظر هذا الرجل، فإن كان من أشراف الناس، فأعطه ألف دينار، وإن كان من أفناء الناس فأعطه شطرها. فلمّا ذهب إليه إذا به رجلٌ من العرب يقال له: القعقاع بن زنيم من أهل ريّة، فأعطاه الألف دينار، فلحق بالشرف إلى أن استقضاه الأمير عبدالرحمن بن معاوية على جنده

بالأردن. . .»[124].

وفي ترجمته لعبد الجليل بن محمد بن سليمان الأنصاري المالقي يقول ابن خميس في كتابه «أدباء مالقة» (ص 298) « من أهل ريّة، كان من جلّة بيوتها، كان جدّه صاحب لواء الإمام عبدالرحمن بن معاوية أوّل دخوله الأندلس، وولي عبدالجليل الإمامة بريّة، ذكره الرازي في كتاب الاستيعاب».

ويدلّ هذا الخبر والأخبار السابقة على الدور الكبير الذي أسهم به أهل جند الأردنّ في ريّة ومالقة في مساندة عبدالرحمن الداخل وتجديده الحكم الأمويّ في الأندلس.

أهل الأردنّ في مالقة خلال عصر الإمارة الأمويّة والخلافة الأمويّة بالأندلس (422-138هـ)

كان لأهل الأردنّ دورٌ كبير في تثبيت الحكم الأموي في الأندلس وتجديده والدفاع عنه، بدءاً من زمن الفتح ثمّ زمن الطوالع ثمّ خلال عهد الولاة ثمّ في أثناء مساعي عبدالرحمن الداخل لبسط سيطرته على الأندلس.

وقد استمرّ أهل الأردنّ النازلون في كورة ريّة ومدينة مالقة في الولاء للحكم الأمويّ خلال عصر الإمارة الأمويّة وعصر الخلافة الأمويّة في الأندلس.

فعندما قام الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (238-273هـ) باستنفار أهالي الأندلس لغزو الصائفة إلى جليقية مع ابنه الأمير عبدالرحمن، كان عدد الفرسان المستنفرين من ريّة (2607) فرسان[125].

ويعدّ هذه العدد كبيراً بالمقارنة مع أعداد من شارك في هذه الغزوة من المدن الأخرى، فقد شارك فيها ألفان وتسعمائة فارس من كورة إلبيرة (غرناطة) وألفان ومئتان من جيّان، وألف وثمانمائة من قَبْرة، وتسعمائة من باغُه، ومائتان وتسعة وستون من تاكرنا، ومائتان وتسعون من الجزيرة، وألف ومائتان من إستجة، ومائة وخمسةٌ وثمانون من قرمونة، وستة آلاف وسبعمائة وتسعون من شذونة (جند فلسطين)، وثلاثمائة واثنان وأربعون من فريش، وأربعمائة من فحص البلوط، وألف وأربعمائة وثلاثة من مورور، ومائتان وستة وخمسون من تدمير (سرقسطة) ومائة وستة من رينه، وثلاثمائة وسبعة وثمانون من قلعة رباح وأوريط، ومائة وثلاثة عشر من حصن شندلة.

إلاّ أنّ كورة ريّة شهدت في عصر الإمارة عدّة ثورات كانت إحداها سنة 265هـ وسببها عنف يحيى بن عبيدالله بن يحيى عامل الأمير محمد علي ريّة، بأهلها في مطالبته إيّاهم ببقايا من خراجهم احتسبوا بها، فاشتدّ عليهم في أدائها، فامتنعوا عليه واعتصموا بالجبال، وتأهبوا للدفاع عن أنفسهم[126]. وكانت هذه الثورة مقدّمة لثورة عمر بن حفصون في ريّة وتاكرنّا والجزيرة سنة 267هـ التي استمرت حتّى أيام عبدالرحمن الناصر (300-350هـ)[127].

وعندما ثار سوّار بن حمدون القيسي المحاربي سنة 276هـ في السنة الثانية من ولاية الأمير عبدالله بن محمد «انضوت إليه بيوتات العرب من إلبيرة وجيّان وريّة» وذلك لأنّ هذه الثورة كانت ضدّ المولّدين والعجم الذين استولوا على بعض حصون الأندلس[128].

لكنّ هذه الثورات لم تكن في كورة ريّة فقط، بل شملت غالبية كور جنوب الأندلس مثل إلبيرة والجزيرة وتاكرنا وشذونة وببشتر وغيرها.

وفي زمن الخلافة الأمويّة في الأندلس، حظيت كورة ريّة بمكانة مرموقة لدى الخلفاء الأمويين، وكان أهل جند الأردنّ ممّن يدعون لحضور مناسبات جلوس الخلفاء، فعندما جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله بن عبدالرحمن الناصر جلوسه الفخم دخل الناس إليه «بحسب مراتبهم الأولى بعهد الخلفاء في التقدّم، فدخل أوّل جمعهم جند دمشق، وهم أهل كورة إلبيرة، ثمّ جند حمص، وهم أهل كورة إشبيلية، ثمّ جند قنسرين، وهم أهل كورة جيّان، ثمّ جند فلسطين، وهم أهل كورة شذونة، ثمّ جند الأردنّ، وهم أهل كورة ريّة»[129].

ويصف ابن حيّان القرطبي جلوس الخليفة الحكم المستنصر سنة 364هـ بالمجلس الغربي، فيقول: «وأذن لمن حضره من وجوه أهل الكور المجنّدين المستحضرين لشهوده، بالوصول إلى أمير المؤمنين إثر خروج بني إدريس عنه، وقُدّموا على مراتبهم، فكان أوّل من توصّل إليه منهم ثمّ ثنّى بالأمير ولده: جندُ دمشق، وهم أهل كورة إلبيرة وأعمالها من غرناطة وشاط وشبيلين وبرجة ودلاية وباغة والقبذاق ولوشة ويحصب، ثمّ جند حمص، وهم أهل كورة إشبيلية ولبلة، ثمّ جند الأردنّ، وهم أهل كورة ريّة وتوصّل بوصولهم أهل كورة قبْرة وبيّانة وبلاي، ثمّ جند فلسطين، وهم أهل كورة شذونة والجزيرة، ثمّ جند مصر، وهم أهل تدمير وبلنسية.. .الخ»[130].

وكان خلفاء بني أميّة يرون كورة ريّة من أهمّ كور الأندلس، ففي سنة 361هـ وُلّي أصبغ بن محمد بن فطيس نصف كورة ريّة، وخوطب بكتاب نسختُه: «بسم الله الرحمن الرحيم، فإنّما تُستدام النعمة بشكرها... وقد رأى أميرُ المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة... ورأى تقليدك شطر كورة ريّة، وهي من أعظم كور الأندلس عليه برّاً وبحراً، وجباياتها وضياعها...»[131].

وكانت مالقة في زمن الخلفاء الأمويين قاعدة من قواعد الأساطيل البحرية الأندلسيّة.

ونظراً لأهميتها فقد شهدت أحداثاً كثيرة في زمن ملوك الطوائف وزمن المرابطين والموحدين وعصر بني الأحمر، إلى أن سقطت في أيدي الإسبان سنة 892هـ[132].

من أعلام جند الأردنّ في مالقة وريّة

حفلت المصادر الأندلسيّة بأسماء مئات الأعلام الذين ينتمون إلى مالقة ويرجعون بأنسابهم إلى قبائل جند الأردنّ، وأكثر هؤلاء الأعلام من العلماء والفقهاء والأدباء. ونظراً لكثرتهم فقد ألّفت الكثير من الكتب التي تعنى بالترجمة لهم. ومن هذه الكتب:

1- كتاب في أخبار ريّة وحصونها وحروبها وفقهائها وشعرائها، في أجزاء كثيرة، تأليف إسحق بن سَلَمة بن إسحق القيني[133].

2- كتاب أخبار عمر بن حفصون القائم بريّة ووقائعه وسيره وحروبه، تأليف أحمد بن محمد بن موسى الرازي[134].

3- فقهاء ريّة لأبي محمد قاسم بن سعدان بن إبراهيم الريّي (ت347هـ)[135].

4- كتاب أعلام مالقة، مرتّب على الطبقات، لأبي عبدالرحمن بن محمد الأنصاري[136].

5- كتاب أعلام مالقة لأبي العبّاس أصبغ بن عليّ بن هشام بن أصبغ بن عبدالله بن أبي العبّاس الجذامي المالقي (ت592هـ)[137].

6- الإكمال والإتمام في صلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام، تأليف أبي عبدالله محمد بن عليّ بن خضر بن هارون الغسّاني المشهور بابن عسكر (ت636هـ)، وهو صلة لكتاب أصبغ السابق[138].

7- مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار، تأليف أبي بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي (ت639هـ). وللكتاب عناوين أخرى مثل: أدباء مالقة، وفقهاء مالقة، وتاريخ مالقة. وقد قمت بتحقيقه ونشره[139].

وإذا ما استثنيا الكتاب الذي ألّفه الرازي عن عمر بن حفصون، فإنّ بقية الكتب قد وضعها مؤلّفون ينتمون إلى سلالة المهاجرين الأردنيّين إلى الأندلس: القيني والجذامي والغسّاني والأنصاري.

وإلى جانب هذه المصادر، فإنّ كتب التراجم الأندلسيّة قد احتفت بأعلام مالقة مثل: تاريخ الفقهاء والمحدثين للخشني، وجذوة المقتبس للحميدي، وبغية الملتمس للضبيّ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، والتكملة لابن الأبّار، وصلة الصلة لابن الزبير وغيرها.

من أعلام مالقة المنحدرين من قبائل جند الأردنّ

العامليّون:

1 ـ أبو أيّوب سليمان بن عمثيل بن يحيى بن أحمد بن داود العاملي (524 ـ ....) ، ترجم له ابن خميس في كتابه «أدباء مالقة» ، فقال[140] :

«من وجوه مالقة، وذوي الشرف والأصالة فيها ، قديم الحسب ، معلوم التعيّن، يرجع بيتُه إلى عاملة النازلين بريّة ، وهو على ما ألفيتُ في بعض التعاليق : سليمان بن عمثيل بن يحيى بن أحمد بن سليمان بن داود بن عبدالسلام بن عمثيل بن عكار بن قيرون بن شرف بن خزيمة بن زياد بن شمر بن بشر بن حيّ بن عوف بن مالك بن قاسط بن الزاهد من عاملة بن سبأ الأكبر بن يشجب بن عابد بن قحطان بن يعرب بن شالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح، وهو آدم الصغير ، وشمر المذكور في هذا النسب هو الداخل الأندلس. وكان أبو أيّوب سليمان المتقدم المذكور معدوداً في طلبة مالقة ونبهائها ، ولي القضاء بجهاتها مدّة، وناب عن ولاة مالقة أيام كونه قاضياً بها ، فسادَ ورأسَ، وعقبُهُ بمالقة. ومولده رحمه الله يوم الجمعة في عام أربعةٍ وعشرين وخمسمائة» .

2- أبو أيّوب سليمان بن داود بن عبدالسلام بن عمثيل العاملي، وصفه ابن خميس في «أدباء مالقة» قائلاً[141]: «من بيت حَسَب وجلالة، وعلم وشرف الأصالة، معلوم المكان، قد تقدّم ذكر بعض أسلافه فيما مضى من الكتاب، وكان أبو أيّوب من العلم والوجاهة جليل المقدار، فقيهاً مشاوراً، أخذ عن شيوخ جلّة، وقيّد وروى.....».

3- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عمثيل العاملي (كان حيّاً سنة 548هـ)، وصفه ابن خميس قائلاً[142]: «من أهل مالقة، من أعيان أهلها وجلّتهم»، وأورد له قوله:

وإذا الديارُ تغيّرت عن حالها ... فدع الديار وباكر التحويلا
ليس المقامُ عليك حتماً واجباً ... في بلدةٍ تدعُ العزيز ذليلا

4- أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد بن سماك العاملي (كان حيّاً سنة 555هـ)، ترجم له ابن خميس في «أدباء مالقة» قائلاً[143]: «جليل القدر، شريف الحسب، ولي قضاء مالقة، وكان له بها عقب، ثم انتقل إلى غرناطة، وعقبه بها في شرفٍ ونباهة إلى الآن، وبمالقة بعض عقبه، وكان قديماً من أهل مالقة، وبها كان أسلافه، ثم وقعت بينه وبين بني حسّون منازعة، فخرج بسببهم فارّاً إلى غرناطة، ثم سار إلى مرّاكش في أوّل أمر الموحّدين، فسكن بها، وفيها ولي قضاء مالقة».

5- أبو عبدالله محمد بن أيُّوب بن محمد بن وهب بن محمد بن نوح ابن أيوب بن وهب بن سهل بن إبراهيم العاملي، يعرف بابن نوح (ت 610هـ)[144].

6- أبو محمد عبدالسلام بن سليمان بن عميل العاملي (ت630هـ)، وصفه ابن خميس في كتابه «أدباء مالقة» قائلاً[145]: «من أهل مالقة، وذوي بيوتها الشريفة، قديم الحسب، شريف الأصالة، وسأذكر عند ذكر والده من سلفه ما يدلّ من الطلب والنباهة، ولي القضاء بمنتماس شرقيّ مالقة، وكان موصوفاً بعقلٍ ونزاهة نفس. وكان رحمه الله أديباً يقول الشعر ويرفعه للملوك....».

7- أبو مروان عبدالملك بن حبيب بن محمد العاملي[146]، توفي صدر أيام الخليفة عبدالرحمن الناصر.

8- علي بن عميل العاملي المالقي[147].

9- أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك العاملي (من علماء القرن الثامن الهجري) صاحب كتاب «الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة».

10- أبيض بن مهاجر العاملي[148].

الجذاميون:

1- أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أصبغ بن أحمد بن أبي العبّاس الجذامي (كان في أيام المعتمد بن عبّاد)، وصفه ابن عبدالملك المرّاكشي في كتابه «الذيل والتكملة» قائلاً[149]: «وكان من بيت علم وجلالة، وتعيّن شهير وأصالة، فقيهاً حافظاً مشاوراً، بارع الأدب شاعراً مجيداً كاتباً بليغاً، ولمّا اضطربت أحوال بلده مالقة تحوّل عنها ولحق بالمعتمد بن عبّاد، فجلّ لديه، ونفقت سوق أدبه عنده، ثمّ عاد إلى بلده، وتوفي به، ودفن بمسجد النخلة بحومة الدروب من مالقة».

وأورد له ابن خميس نصوصاً من شعره ونثره[150].

2- أبو الوليد هشام بن عبدالله بن أصبغ بن أحمد بن أبي العبّاس الجذامي (المتوفى قبل 500هـ)، شقيق أبي عبدالله محمد المذكور أعلاه. ترجم له ابن خميس في كتابه «أدباء مالقة»[151] قائلاً: «وهو جدّ الفقيه الأديب أبي العبّاس أصبغ، وكان رحمه الله جليل المقدار فقيهاً أديباً حسيباً، كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً، وصفه حفيده في كتابه، فقال فيه: ناظم ناثر، وحامل علوم ومآثر، وخطيب محافل ومنابر، فرعت روابي البدائع قدمُه، وأزرى بآيات الشمس فهْمُه، وقصر بوشيج السُّمْر قلمه،...». وأورد له ابن خميس مقطوعات شعرية ونثرية.

3- أبو بكر محمد بن عبدالله بن عليّ بن هاشم بن أبي العبّاس الجذامي، من أهل مالقة وأعيانها، وله أوّليّة في الشرف [152].

4- أبو محمد عبدالله بن عليّ بن أبي العبّاس الجذامي، أخو أصبغ صاحب تاريخ مالقة، وصفه ابن خميس قائلاً [153]: «كان رحمه الله من جلّة الأدباء، وعلية الفصحاء الخطباء، ومعدوداً في الرؤساء من أهل مالقة والحسباء، ومرتبته في المعارف مشهورة، وآدابه مدوّنة مسطورة، كان جليل المقدار، عالي الهمّة، رفيع القدْر...». كما أورد له ابن خميس نصوصاً شعرية ونثرية، وأضاف قائلاً عنه: «وشعره رحمه الله وكتُبُهُ ومكانه من العلم بحيث لا يخفى، فلا معنى للإطالة فيه. ذكر أخوه أصبغ وفاته فقال: « وتوفي أبو محمد رحمه الله عليه وغفرانه وروحه وريحانه، وهلالُ سمائه في الفتوّة وقّاد، وصباحُ اقتباله صقيل الصفحات والإيراد، في ليلة الثالث من رجب الفرد سنة اثنتين وستين وخمسمائة». وفي ترجمة ابن سعيد المغربي له في كتابه المغرب يقول: «قال والدي: بنو أبي العبّاس من بيوتات مالقة، وهو بيت علم وأدب وحسب ورياسة، وكان أبو محمد هذا من أعلامهم قد برع في النثر والنظم» [154].

5- أبو العبّاس أصبغ بن عليّ بن هشام بن أصبغ بن عبدالله بن أبي العبّاس الجذامي (ت592هـ) شقيق أبي محمد عبدالله المذكور آنفاً،

وهو مؤلّف كتاب «الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة الكرام» وله عنوان آخر وهو «أعلام مالقة».

وقد ترجم له ابن الأبّار في كتاب التكملة قائلاً[155]: «أصبغ بن عليّ ابن هشام بن أصبغ بن عبدالله بن أبي العبّاس من أهل مالقة، يكنى أبا العبّاس، كان أديباً وجيهاً في بلده، له حظٌّ من قرض الشعر، وقد سمع منه أبو عمرو بن سالم بعض منظومه، وتوفي سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة».

6- أبو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامي (ت631هـ)، قال فيه ابن خميس[156]: «من حسباء مالقة وأعيانها وقضاتها ونبهائها... وكان أبو عبدالله هذا من علية الطلبة ونبهائهم، ذكيّاً فطناً، بارع الخطّ، كاتباً بليغاً أديباً شاعراً مطبوعاً، ولي قضاء مالقة في أيام الأمير أبي عبدالله بن هود في عام ستّ وعشرين وستمائة نحواً من أربع سنين».

7- أبو الحسن عليّ بن عبدالله بن محمد بن محمد بن عبدالله بن الحسن ابن محمد الجذامي المالقي النباهي، قاضي مالقة في عصر بني الأحمر في القرن الثامن الهجري، مؤلف كتاب تاريخ قضاة الأندلس»[157].

8- أبو عليّ الحسن بن محمد بن الحسن النباهي الجذامي (ت 472هـ)، من أهل مالقة، «من حسباء مالقة وأعيانها وقضاتها، وهو جدّ بني الحسن المالقيّين، وبيته بيت قضاء وعلم وجلالة، لم يزالوا يرثون ذلك كابراً عن كابر...»[158].

9- الحسن بن عبدالله الجذاميّ المالقيّ قاضي ريّة (ت 392هـ)، قال النباهي في تاريخ قضاة الأندلس في وصفه[159]: «فهو أوّل قضاة الدولة العامريّة بكورة ريّة... وكان رحمه الله فقيهاً نبيهاً فطناً متفنناً، بصيراً بمذاهب العلماء، نفّاعاً للفقهاء، شديداً على أهل الأهواء، رفيقاً بالضعفاء، ... وأصله من ريّة من العرب الشاميّين، النازلين بها عند الفتح، واختصّ سلفه منهم بسكنى مالقة، وهي إحدى مدائن الكورة (كورة ريّة)».

10- أبو القاسم أخطل بن رفدة الجذامي، من أهل ريّة (توفي بمالقة سنة 304هـ). قال أبو سعيد يعلى بن سعيد: «كان أبو القاسم أخطل بن رفدة من أنفس العرب، وكان فقيهاً حافظاً يعنى بالرأي والمسائل، وكان له حظّ من الحديث، سمع من ابن وضّاح الخشني وعامر بن معاوية، وكان أحسن الناس خلقاً، وأوسعهم في المناظرة صدراً. قال يعلى بن سعيد: «قال لي عزيز المعروف بأبي هريرة مفتي مالقة: أدرْتُ أخطل ابن رفدة زماناً بالمخالفة على أن يغضب فلم أقدر أن أغضبه[160].

11- عبدالملك بن أخطل الجذامي، كان هو وعبدالرحمن بن جوشن الرعيني رئيسي الجند بريّة (مالقة) [161].

12- أحمد بن حكم بن رافع الجذامي، مالقي، قال عنه ابن عبدالملك المرّاكشي في الذيل والتكملة (س1 ق1 ص100): «وكان من جلّة الفقهاء معدوداً في أهل نباهة الأندلسيين الشاميّين بمالقة».

الغسّانيّون

1- أبو عبدالله محمد بن عليّ بن خضر بن هارون الغسّاني المشهور بابن عسكر المالقي (ت636هـ)، وهو الذي ابتدأ تأليف كتاب أدباء مالقة، وأتّمه من بعده ابن أخته ابن خميس، وقد عرّف به ابن خميس في كتابه «أدباء مالقة» في صفحات كثيرة، وأورد له نصوصاً شعرية ونثريّة[162]. قال فيه ابن خميس: «كان رحمه الله جليل المقدار، متفنناً في العلوم على اختلافها، ومشاركاً فيها على تشتت أصنافها، يتقد ذكاءً، ويشرق طهارة وزكاءً، نشأ بمالقة وبها أعلام وجلّة أكابر، فأربى عليهم في معارفه، وكان معظّماً عندهم، مشاراً إليه فيهم، كانت الفتوى تدور عليه بمالقة، والمسائل تدور عليه من البلاد فيفتي فيها ويعمل فيها برأيه، والقضاة يعظّمونه كلّ التعظيم، ويقطعون به في أحكامهم، معظّماً عند الملوك مقرّباً لديهم، ولي القضاء بمالقة...» [163].

2- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن عسكر الغسّاني، هو خال الفقيه أبي عبدالله ابن عسكر الآنف الذكر. عرّف به ابن خميس في «أدباء مالقة» قائلاً[164]: «هو خال خالي رحمة الله عليهما، كان رحمه الله من الطلبة النبهاء، ذكياً فطناً عارفاً محقّقاً، كان عارفاً بصنعة النحو، محققاً فيها، ذاكراً للغات، حافظاً بالآداب، عارفاً بطريق الرواية على حداثة سنّه، وكان قد قعد للإقراء بمالقة... وكان رحمه الله أديباً بليغاً».

3- أبو عبدالله محمد بن سعيد بن مدرك الغسّاني (ت بعد 570هـ)، وصفه ابن خميس قائلاً[165]: «من أهل مالقة، ومن الشيوخ الجلّة، كان فاضلاً راوية عدلاً ثقة على سَنَن أهل الفضل... وكان عنده من الكتب النبيهة والأعلاق السنيّة ما لم يكن عند أحد، حتّى إنّه لا يكاد يوجد الآن كتابٌ نبيهٌ إلاّ وخطّه عليه...».

4- أبو التّقى صالح بن جابر بن صالح بن حضرم الغسّاني، كان «من طلبة مالقة وأدبائها، ذكياً ينظم الأشعار المعربة والهزْلية (الموشّحات والأزجال)، ويصنع الأزجال والموشحات الرائقة، وكان له في صنعة النجوم باعٌ مديد، وله فيها تواليف عجيبة بين منثور ومنظوم، ... وشعره رحمه الله كثير، وموجودٌ بأيدي الناس»[166].

5- أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عليّ الغسّاني (ت 741هـ)

من أهل مالقة، يعرف بابن حفيد الأمين، كان من أهل العلم والفضل والدين المتين، كانت له حلقة عامّة في المسجد الجامع، وله شعر ومؤلّفات في الفرائض والفقه، وتوفي شهيداً في الكائنة العظمى بطريف سنة 741هـ[167].

6- أبو الحكم محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغسّاني (ت 749هـ) وهو أخو أبي القاسم السابق الذكر، كان يعقد الشروط بمالقة لمدّة طويلة، وجلس للتحليق في المسجد الأعظم بمالقة بعد وفاة أخيه أبي القاسم، وخطب بمسجد مالقة الأعظم، ثمّ أخّر عن الخطبة لمشاحنة وقعت بينه وبين بعض الولاة[168].

اللخميّون

1- أبو معاوية عامر بن معاوية بن عبدالسلام بن زياد بن عبدالرحمن بن زهر بن عامر بن لودان اللخمي، من ريّة، ولّاه المنذر قضاء الجماعة[169] بقرطبة، وكانت له رحلة إلى القيروان ومصر. توفي سنة 277هـ.

2- أبو هريرة عُزَيْز بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن عبد الواحد ابن صبيح اللخمي، وصفه ابن خميس في «أدباء مالقة» قائلاً[170]: «فقيه بمالقة وما والاها منذ خمسين عاماً، معروف الخير، مشهور الفضل، لاشتهار فضله وتقدّمه... وله أوضاعٌ معروفة منها كتاب: كنه كيفية الإيمان، والردّ على أهل الكتاب من الكتاب. وبيده كتاب كريم من أمير

المؤمنين عبدالرحمن بن محمد... توسّل إليه بطاعته، وتضرّع إليه بخالص بصيرته...». ويذكر ابن الفرضي في الترجمة له إنّ جدّه صبيح هو الذي دخل الأندلس مع موسى بن نصير [171].

3- أبو عبدالله محمد بن أحمد اللخمي ويعرف بابن جامع المالقي (توفي بعد 570هـ)[172].

4- محمد بن أبي هُريرة عُزَيْز -مصغّراً- بن محمد بن عبدالرحمن بن عيسى بن عبد الواحد بن صبيح اللخمي، وصُبَيْح هو الداخل إلى الأندلس مع موسى بن نصير، مالقي، سمع من قاسم بن أصبغ (الذيل والتكملة، لابن عبدالملك المراكشي، 6/431).

5- أبو جعفر أحمد بن محمد بن عمر اللخمي المالقي العشّاب والنباتي، لاشتغاله بالنبات وتبريزه في المعرفة به. مولده سنة 562هـ. (الذيل والتكملة، س1، ق2، ص477-476).

القينيّون

يقول ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب»[173]: «ودارُ بني قَيْن بالأندلس: ريّة، فمنهم بها عددٌ عظيم».

ومنهم في ريّة ومالقة:

1- أبو الأصبغ عيسى بن عيّاش بن محمد القيني (ت628هـ)[174]:

«كان رحمه الله معدوداً في العلماء، ومحسوباً من الأدباء، من جلّة فقهاء مالقة وأعلامها، كان مشاراً إليه فيها، يتصرّف في فنون من المنقول والمعقول، وكان له في صنعة التوثيق قدم راسخ، وإحكام آمن من الناسخ، قرأ علم الأصول وأقرأه واشتغل به كثيراً، وكانت له أشعار وخطب، وله تقييدات على مسائل شتّى كالسرّ المكنون في أنّ الحركة سكون، وغير ذلك... وكان أبو الأصبغ رحمه الله من أهل الفضل والدين والورع، كان خطيباً بجامع مالقة وإماماً به...».

2- أبو بكر يحيى بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صفوان بن عبدالرحمن بن يحيى بن زدوعة بن محمد بن عبدالله بن دعامة بن عرار القيني (ت621هـ). يقول فيه ابن خميس في «أدباء مالقة»[175]: «وهو الفقيه الأجلُّ الوزير أبو بكر بن صفوان، مشهور الحسب، جليل المقدار، قديم الرئاسة، معلوم المكان، يتصل بعرار المتقدّم الذكر، وعرار هو الراحل في طالعة بلج، وقد تقدّم ذكر والده أبي بكر في باب الحسن، ولم يزل عقب عرار يتمادى ويتصل ويتوالى ولا ينفصل، إلى أن أعقب أبا يحيى المذكور، وكان أكثرهم عدّاً، وأولهم جلالة ومجداً، انتظم به سلك فخارهم، وكملت به مكارم أخبارهم، فاق أهل زمانه سياسة ونباهة، وفرعهم عناية ووجاهة. كان رحمه الله أحسن الناس خلقاً، وأنداهم يداً، وأشدّهم تسرّعاً لقضاء الحوائج، وأسرعهم إلى فعل الخير. كان رحمه الله يقسّم المال

على الأصحاب والخدّام، معظّماً عند الملوك والسادة، مشاراً إليه، سنيّ الهمّة ذا شارة حسنة، كثير الفضائل، حُدِّثْتُ أنّ بعض خدّامه كان يتفقّده في الجُمع بحوتٍ نفيس، رغبةً في جاهه، وطلباً في عنايته، إلى أن انقطع عنه ذلك الرجل مدّةً، فبينما هو جالسٌ في بعض الأيّام، وإذا بامرأةٍ قد جاءته تشكو له بحالها، وأنّ عندها بنتاً تحتاج إلى الزواج، وما لها بما تجهّزها، وعرّفته أنّها زوجة ذلك الرجل وأنه قد مات، فقال لها: اقعدي حتّى أخرج إليك! فمكث ساعة، ثمّ خرج إليها بزمامٍ في يده ونحو من ثلاثين ديناراً، فقال لها: يا هذه خذي هذه الدراهم وأصلحي منها على نفسك. فشكرته وترامت عليه، فقال لها: يا هذه لا تشكريني على هذا، فإنّ تلك الدراهم من مال زوجك. فقالت له: يا مولاي! وكيف؟ فأخبرها أنّه عندما كان زوجها يأتيه بذلك الحوت النفيس، كان يعرضه على من يقدّره له، ويقيّد عند ذلك الحوت وغيره من الهدايا، حتى اجتمع في ذلك العدد. فدفعه إليها، وقال لها: إذا كانت الصبيّة للزواج فجهازها عندي. وكان كذلك. وهذا غاية في الفضل له والكرم، ومكارمه وإحسانه أكثر من هذا....».

وقد رثاه كثير من الشعراء، ومن أشهر من رثاه أبو عبدالله محمد ابن علي بن عسكر الغسّاني، خال ابن خميس، بقصيدة طويلة،

مطلعها[176] :

أمـا الحِمـــام فمحتومٌ ومقـــدور فالصبرُ أولى ومن ينفث فمصدورُ

ومن أبياتها التي يذكر فيها أبا بكر القيني وقبيلته القين[177] :

فاذكـر فقيـداً أتتنـا كـلّ فـادحــة بفقـــده بنظـام الأنس منثـــورُ
وأرسلـت سحـبُ الأجفـان أدمعهـا فكـلّ خـدٍّ بمـاء الدمع ممطور
على الصفيّ ابن صفوان ومن شرفت بــه اليـراعُ بهـــاءً والمحابيـرُ
إيهٍ أبا بكـر الأعلـى وكـم طمعت نفســي بهـا لـو تأتيها المقـاديرُ
حسيبُ ريّـــة من قـومٍ لهم شرفٌ تـزهـى الدواويــن منـه والدفاتير
سـيوفهم فتحتهـا وهـي مغلقـــةٌ حتى شفى الدين منها وهو موتورُ
قيْنٌ ومـا القـيْن إلاّ ســادةٌ نجـبٌ تزهـى القبـائل منهـم والعشائير
توارثــو المجــد من جـدّ إلى ولدٍ تأتـي أكـابرُ إن مَـرّتْ أكـابيـرُ
حتـى أتيْتَ أبـا بكـرٍ قـد اجتمعت لك الفضـائل منهم والمـــآثير

.... الخ

ويتضح من هذه الأبيات دور قبيلة القين القضاعية القادمة من جند الأردنّ في فتح كورة ريّة ومالقة عند الفتح الإسلامي للأندلس. كما يتضح من الأبيات مكانة هذه القبيلة وأبنائها وكثرتهم في مدينة مالقة.

3- أبو المعتصم يحيى بن مودعة بن عبيدالله بن دعامة بن عرار القيني[178]، من أهل مالقة، ولي الصلاة بمدينة مالقة، وكان يخلف القضاة بها.

4- أبو عبدالله إسحق بن سَلَمة بن وليد بن زيد بن أسد بن مهلهل بن ثعلبة بن مودوعة بن قطيعة القيني من أهل ريّة، سمع وهب بن مسرّة وغير واحد، وكان حافظاً لأخبار أهل الأندلس معتنياً بها، وجمع كتاباً في أخبار أهل الأندلس أمره بجمعه الحكم المستنصر، وقد كتب عنه[179].

5- أحمد بن عبدالله القيني، من أهل ريّة، قال ابن الفرضي في ترجمته[180]: «كان فقيهاً عالماً، وزاهداً منقبضاً، وكثير التلاوة والذكر، حافظاً للمسائل، وبصيراً بالفرائض، وولي الصلاة بعد إبراهيم ابن سليمان. ذكره إسحق».

6- أبو عليّ منصور بن أفلح القيني، من أهل مالقة «روى الأدب عن أبي عثمان سعيد بن عثمان القزاز الأديب، عن أبي علي البغدادي. روى عنه أبو محمد ابن غانم بن وليد الأديب، أخذ عنه كثيراً من كتب الأدب واللغة»[181]. وقد اختلط اسم القيني بالقيسي في عددٍ من المصادر على جهة التصحيف.

الأشعريون

قال ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب»: «ودارُ بني الأشعر بالأندلس: ريّة»[182]. ومن أعلامهم في ريّة ومالقة:

1- أبو محمد عبدالله بن الحسن الأشعري، ويعرف بابن الدوس، قال فيه ابن خميس[183]: «من طلبة مالقة، كان أديباً شاعراً، له قصائد حفال على ما ذكر لي، ولم أقف له على شعر، وتوفي رحمه الله في نحو عشرين وستمائة».

2- القاضي ربيع بن عبدالرحمن بن ربيع الأشعري أبو سليمان، كان قاضياً بقرطبة للأمير محمد بن هود. يقول أبو الحسن النباهي في كتابه «تاريخ قضاة الأندلس»[184]: «وأصل بني ربيع، على ما ذكره ابن عسكر وغيره، من صالحة ريّة، من بيت نباهة ووجاهة. ولم يزل أبو سليمان قاضياً بقرطبة إلى أن استولى الروم عليها، وذلك يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال من عام 633هـ، فتحوّل إلى إشبيلية، وبها توفي إثر انتقاله إليها».

3- أبو عامر يحيى بن عبدالرحمن بن ربيع الأشعري، شقيق أبي سليمان القاضي بقرطبة المتقدم الذكر، قال فيه أبو الحسن النباهي[185]: «وكان أبو عامر هذا صدر علماء زمانه بالأندلس، وقدوة رواته، أخذ عن أبي بكر بن الجدّ وابن زرقون وابن بشكوال وغيرهم. وله تآليف في

علم الكلام جليلةٌ نبيلةٌ واستمرّت ولايته بها ، إلى أن نقله أميرُ المؤمنين الغالب بالله أبو عبدالله بن نصر –رحمه الله– إلى قضاء الجماعة بحضرته من غرناطة. وكان من أعلم القضاة عدالةً وصرامةً ونبلاً وفضلاً . . . . وكان أبو عامر ممّن قرأ الفقه وأصوله، وعلَّمَ الكلام وغيره أكثر عمره بقرطبة وإشبيلية ومالقة وغرناطة. وبقي متولّياً خطة القضاء ومع الأمراء إلى أن أصابته الزمانة التي أقعدته عن ذلك، فعاد إلى مالقة، فلزم بها منزله، إلى أن توفي شهر ربيع الأوّل من عام 639 . . » .

4- القاضي أبو القاسم عبدالرحمن بن أبي عامر يحيى بن عبدالرحمن ابن ربيع الأشعري، ولد قاضي الجماعة المتقدم الذكر. وكان على سَنَن سلفه من التفنُّن في المعارف، والاشتداد على أهل العتوّ والفساد، كاتباً بارعاً، شاعراً مطبوعاً، كتب عن سلطانه أيّام استدعائه مَنْ بالمغرب، وتحريك القبائل إلى الجهاد، غيْرَ ما كتاب، بما يشحذُ العزائم، ويوقظ النائم. وتمادت ولايته إلى أن توفي، بعد مضيّ سبعة أعوام من زمان تقديمه (بعد سنة 640هـ)[186].

5- أبو عبدالله محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن بكر بن سعد الأشعري المالقي (673-741هـ)، من ذرية بلج بن يحيى بن خالد ابن عبدالرحمن بن يزيد بن أبي بردة (واسمه عامر) بن أبي موسى (واسمه عبدالله) بن قيس صاحب رسول الله، صلّى الله عليه

وسلّم، ذكره ابن حزم في جملة من دخل الأندلس من المغرب. يكنى أبا عبدالله، ويعرف بابن بكر، قال فيه أبو الحسن النباهي إنه بعد رحلته «عاد إلى بلده مالقة، وقد صار سبّاق الحلبات معرفةً بالأصول والفروع، والعربيّة، واللغة، والتفسير، والقراءات، مبرزاً في علم الحديث تأريخاً وإسناداً ونسخاً وتصحيحاً، وضبطاً، حافظاً للألقاب والأسماء والكنى، فتصدّر في فنون العلم، وكان كثير النصيحة، حريصاً على الإفادة، فنفع وأدّب، وخرّج وهذّب، حتى صار أصحابه على هيئة متميّزةٍ من لباس واقتصاد، وجدّ واجتهاد... وبقي كذلك زماناً يدرّس بالمسجد القريب من منزل سكناه احتساباً، ثمّ تقدّم ببلاده للوزارة، ناظراً في أمور العقد والحلّ ومصالح الكافّة... ولم يزل مع ذلك ملازماً أيّام قضائه للإقراء مع التعليم: درّس العربيّة، والأصول، والفقه، وإقراء القرآن، والحساب، والفرائض، وعقد مجالس الحديث شرحاً وسماعاً..... واستمرّ على عمله من الاجتهاد، والرغبة في الجهاد، إلى أن فقد –رحمه الله– في مصافّ المسلمين، يوم المناجزة الكبرى بظاهر طريف، شهيداً محرّضاً، يشحذ البصائر، ويدمن الأبطال...»[187].

6- أحمد بن مطرّف بن محمد بن خلف بن بختري بن عبدالرحمن الأشعري، من أهل ريّة كان حافظاً للقرآن، موصوفاً بالخير والدين، وولي الصلاة بحاضرة ريّة، توفي أيام المستنصر بالله[188].

7- أبو العبّاس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعري المالقي ابن السكّان، شارك في فنون كثيرة، ونظم قصيدة في مدح الرسول عليه السلام في (320) بيتاً (الذيل والتكملة س1 ق2 ص522- 521).

إلى جانب أعلام أخرى كثيرة.

وكان كثيرٌ من هؤلاء الأعلام يحنّ إلى موطن أجداده في الشرق، فيرحل هنالك لمدة تقصر أو تطول، ومن هؤلاء أبو الحسن عليّ بن محمد بن عليّ ابن جميل المعافري، المعروف بالحاجّ المالقي (ت 605 هـ)، وهو من العلماء الجلّة الفضلاء، أخذ ببلده مالقة عن شيوخ جلّة، وانتقل في سنّ الفتوّة إلى بلاد المشرق، فقرأ بها وأخذ عن شيوخها، فساد في تلك البلاد ورأس، فلمّا افتتح صلاحُ الدين بيتَ المقدس احتاج إلى إمام هنالك وخطيب، فاجتمع رأيُ من كان بها من العلماء المشار إليهم على تقدّمً أبي الحسن المذكور، فكان إماماً بالمسجد الأقصى إلى أن مات[189]. يقول ابن خميس في كتابه «أدباء مالقة»[190]: «فكانت جنازته هنالك جنازة لم يشهد مثلها، ولقد أُخبرت أنّ النصارى الذين كانوا بالكنيسة هنالك كانوا يتبعونه، ويرمون بعض ثيابهم على نعشه، ويناول بعضهم بعضاً، ويمسحون بها وجوههم تبرّكاً به رحمه الله». ويقول عنه ابن عبدالملك المراكشي في كتابه «الذيل والتكملة» إنّه «استوطن الشام وعرف هنالك بزين الدين»[191]. وقد قرأ عليه بالمسجد الأقصى أخوه أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن علي بن جميل المعافري المتوفى بحدود 640هـ[192].

ومن الأسماء التي اشتهرت بالأندلس ممّن جاؤوا إليها من جند الأردنّ سفر ابن عبيد الكلاعي، الذي سمّي الرّمان السَّفْري المشهور في الأندلس باسمه. يقول ابن خميس في «أدباء مالقة»[193]: «ويقال هو من الأنصار، وهو من الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكانت قريته بقرب قرطبة على طريق قرطبة وتعرف ببنّيلة، وكان من أهل ريّة، وإليه يُنْسَبُ الرمّان السّفري، وسببه أنّ عبدالرحمن بن معاوية الداخل بعث إلى أخته بالشام أمّ الأصبغ، عندما استقرّ له ملك الأندلس، أن تاتيه، فأبت ووجّهت إليه بتحف منها ذلك الرمّان، فجمع عبدالرحمن أصحابه، فلمّا نظروا إليه حنّوا إلى الشام وبكوْا، فأخذ سَفْر من حبّ ذلك الرمّان، وجعله في سبنيّة. فقال له عبدالرحمن: «ما هذا؟ فقال له: يا مولاي! أغترسها في بلدي لعلّها تعلقُ. فاغترسها، فعلقت، وكثرت في الأندلس، فنسبت إليه....».

ويورد صاحب نفح الطيب خبر سفر بن عبيد الكلاعي والرمان السفري، فيقول[194]: «قال ابنُ سعيد: والرمّان السَّفْريّ، الذي فاض على أرجاء الأندلس، وصاروا لا يفضّلون عليه سواه، أصله من هذه الرصافة (رصافة قرطبة)، وقد ذكر ابنُ حيّان شأنه وأفرد له فصلاً فقال: إنّه الموصوف بالفضيلة المقدّم على أجناس الرمّان بعذوبة الطعم، ورقة العجم، وغزارة الماء، وحسن الصورة، وكان رسوله إلى الشام في توصيل أخيّته (الحديث عن عبدالرحمن الداخل) منها إلى الأندلس قد جلب طرائف منها من رمّان الرصافة المنسوبة

إلى هشام، قال: فعرضه عبدالرحمن على خواصّ رجاله مباهياً به، وكان فيمن حضره منه سَفْر بن عبيد الكلاعي من جند الأردنّ، ويقال: هو من الأنصار الذين كانوا يحملون ألوية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزواته، قال: وهم يحملون الألوية بين يدي الخلفاء من بني أميّة، فأعطاه من ذلك الرمّان جزءاً، فراقه حُسْنُه وخُبْرُه، فسار به إلى قرية بكورة ريّة، فعالج عجمه، واحتال لغرْسه وغذائه وتنقيله حتى طلع شجراً أثمر وأينع، فنزع إلى عرقه، وأغرب في حسنه، فجاء به عمّا قليل إلى عبدالرحمن (الداخل) فإذا هو أشبه شيء بذلك الرصافيّ، فسأله الأمير عنه، فعرّفه وجه حيلته، فاستبرع استنباطه، واستنبل همّته، وشكر صُنعه، وأجزل صلته، واغترس منه بمنية الرُّصافة، وبغيرها من جنّاته، فانتشر نوعه، واستوسع الناسُ في غراسه، ولزمه النسبُ إليه، فصار يُعْرَف إلى الآن بالرمّان السَّفْري.

قال: وقد وصف هذا الرمّان أحمد بن فرج الشاعر في أبيات كتب بها إلى بعض من أهداه له، فقال[195]:

ولابسـةٍ صَدَفـاً أحمـرا	أتتْكَ وقـد مُلِئَتْ جَوْهـرا
كأنّـك فـاتحُ حُـقٍّ لطيفٍ	تضمَّـنَ مَرْجـانه الأحمْـرا
حُبوبـاً كمثل لِثاتِ الحبيب	رُضـابـاً إذا شئـتَ أو منظـرا
وللسَّفْر تُعزى و ما سافَرَتْ	فتشكو النوى أو تقاسي السُّرى
بـلى فـارقَتْ أيكها ناعمـاً	رطيبـاً وأغصـانَها نُضَّـرا
وجاءتْكَ معتاضةً إذ أتَتْ	بـأكـرم مَنْ عُودِهـا عُنْصُرا

بعودٍ ترى فيه ماءَ النّدى ويُورِقُ من قبل أنْ يُثْمِرا
هديّة مَنْ لو غَدَتْ نفسُه هديّته ظنّه قيصرَا

إنّ الناظر في سير هؤلاء الأعلام وأخبارهم يتّضح له، أنّ معظمهم كانوا يحرصون على الاحتفاظ بأسماء القبائل التي انحدروا منها، فهم عامليّون من قبيلة عاملة، وغسّانيّون من قبيلة غسّان، وجذاميون من قبيلة جذام، وقينيون من قبيلة بني القيْن، وأشعريّون من قبيلة بني الأشعر، ولخميّون من قبيلة لخم.

كما كان هؤلاء الأعلام ينتمون إلى بيوتات مشهورة، منها، بنو الحسن الجذاميون، وبنو عمثيل العامليّون، وبنو عسكر الغسّانيّون، وبنو أبي العبّاس الجذاميّون، وبنو صبيح اللخميّون، وبنو عرار القينيّون، وبنو ربيع الأشعريون.

ويرتبط تشكّل هذه البيوتات بطول سكنى أبنائها في مالقة وتكاثرهم وتوارثهم الأمجاد السياسية والعلمية والأدبية كابراً عن كابر، ممّا يدلّ على تشبّث أبناء القبائل القادمة من جند الأردنّ بكورة ريّة ومدينة مالقة على مدى ثمانية قرون منذ فتح الأندلس وحتّى سقوطها.

ويستفاد من تراجم هؤلاء الأعلام أنّ أبناء مالقة المنحدرين من قبائل جند الأردنّ نبغ منهم الكثير من القادة والقضاة والكتّاب والأدباء والوزراء ورجال الحكم وأصحاب المؤلّفات العديدة، وأصحاب المهن المختلفة، فضلاً عن دورهم

في الجهاد ضدّ الأعداء ، سواءً أكان حضّاً على القتال ضدّ الروم أم خوضاً فعليّاً لغمار المعارك . ولذلك لم تتردّد المصادر الأدبيّة والتاريخية وكتب التراجم بوصف أكثرهم بأنهم من ذوي البيوتات الشريفة وذوي الحسب والأصالة .

مختارات من أشعار المالقيين المنحدرين من سلالات قبائل جند الأردنّ

أنجبت كورة ريّة ومدينة مالقة، إبّان الحكم الإسلامي لها، وخلال سكنى القبائل المنحدرة من قبائل أردنيّة شاميّة، الكثير من الأدباء، ممّن كانت لهم إسهاماتهم في فنون الشعر والنثر والموشّحات والأزجال، غير أنّهم كانوا أميل إلى الشعر والرسائل، وقد يعود ذلك إلى انتمائهم إلى قبائل عربيّة أصيلة تعتزّ بفصاحتها وتتمسك بتقاليدها الأدبيّة القديمة.

ولذلك نظموا الشعر في سائر أغراضه المعروفة من مدحٍ وغزلٍ ورثاءٍ ووصف وحكمة وهجاء وغير ذلك.

وقد ذكروا الأردنّ في أشعارهم، فمن ذلك ما قاله أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أصبغ بن أحمد بن أبي العبّاس الجذامي من جلّة أعيان مالقة في عصر ملوك الطوائف في قصيدة مطلعها[196]:

اربَعْ بـربْـعِ الـذي تُسليك أربُعُهُ ... حتّى يصيف مَصيفٌ ثمّ مَرْبَعُهُ

حيث يقول ذاكراً الأردنّ:

أستودعُ اللهَ مَنْ لم أتّمحْهُ ضُحىً ... يـومَ الفـراقِ ولم أقـدرْ أودّعه
بدْرُ الكمال الذي في القلب مسكنُهُ ... وإنْ نـأى بـي وبالأردنّ مطلعـه

المدح:

ومن شعر المدح ما مَدَحَ به أبو عبدالله بن عبدالله بن أصبغ بن أحمد بن أبي العبّاس الجذامي المالقي ابن عبّاد بإشبيلية وفرّ إليه في الفتنة التي كانت بمالقة أيّام بني بلقين بن إدريس، حيث وفد عليه... فأنزله وأكرمه، وأقام عنده حتى رجع إلى بلده. وهذه القصيدة المذكورة[197]:

لَعَرْفُ الصّبا أذكى نسيماً لنـاسـم ... وبـارقُ ذاك الأُفـق أشفـى لشـائِـمِ
نظـرتُ وقـد نـام الخليّـونَ نظـرةً ... قضيتُ بـهـا حـقّ الدمـوعِ السّواجِـمِ

وهل يبعثُ الشوقَ المبرّحَ شائمٌ تألّق في جنح من الليلِ فاحِم
وأرّقني بالأيك نوحُ حمائمٍ وقد يُطْربُ المحزونَ نوحُ الحمائمِ
وما أحْسَنَ حُسْنَ العزاء لعاشقٍ ثوى حبُّه بين القنا والصوارم
خليٍّ من الخلّان في أرض غربةٍ تذكّر من عهد الصّبا المتقادم
أأيّامنا أفدي أصائلك التي جَلَتْ ليَ صَفْوَ العيش عَذْبَ المباسمِ
بحيث تجلّى الروض أحْسَنَ مَنْظَرٍ وحاكت بُرودَ الزهر أيدي الغمائمِ
وطاب بنا طيب الغواني وطيبه فيقضي على أسرارنا بالنمائمِ
وحيثُ مهاها والظباء أوانسٌ ولا مَرْشَفٌ إلاّ مُتاحٌ للاثمِ
ولا حقفَ إلاّ ما تُقلُّ روادفٌ ولا غُصنَ إلاّ من قدودٍ نواعمِ
ولا منزهٌ إلاّ غِناءٌ وقرقفٌ يقوم بها وسنانُ حلوُ المباسمِ
كأنّ اصفرار الزهر بين ابيضاضه دنانيرُ حَفَّتْهُنَّ أيدي الدراهمِ
كأنّ صفا أمواهه تحت آسه صقال سيوفٍ تحت خصّ الغمائمِ

. . . .

وأُعْمِلُ أخفافَ المطيّ لرتبةٍ تُريني قرن الشمس تحت المناسمِ
إلى الغاية القصوى إلى الملك الذي تذلّ له صِيدُ الملوك الخضارمِ
إلى ذي الأيادي الغُرّ والمِنن التي وسائلها مقروّةٌ كالتراجمِ
تقبّل أطراف البساطِ جلالة وقد صغرت في كمّه والبراجمِ
وتعنو له قَسْراً فُرادى وتوأما فإذعان جبّارٍ ورغم مُراغمِ

بمعتمـــــدٍ نـامـت عيـونٌ قريـرةً   ورُدَّتْ على الأعقـاب سودُ المظـالم
بمُرْضي الوغى والخيل والبيض تلتظي   وسمـر العـوالي والنسـور القشاعـم

ومنها :

وهـوْبُ مـهيبٍ فهـو يرضى ويتّقـى   كذلك أخـلاقُ الملـوكِ الأعـاظـم
ولّـــا انثنــت نفســي إليكَ محبّــة   رفضتُ ملوكَ الأرض رفْضَ المحـارمِ
ولُذْتُ بمولـى باسمــه أنـا عــائـذٌ   من الخطْب واستعصَمْتُ منه بعاصمِ
إليـك ابـنَ عبّـادٍ زفَفْتُ عروسهـا   فـدونكهـا كالدرّ فـي سلْك نـاظـمِ
وهل أنـا إلاّ عبدك القـــنّ عــاقـه   زمـانٌ فـلم ينهضــه عن جدّ عـازم
لــعــلّ لـه عـطفـاً يُديـلُ عنايــةً   بعُتْبـى وإنْ طـالـت منـامـة نـائـمِ

ولأبي عبدالله ابن عسكر الغسّاني المالقي قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين أبا العلاء إدريس[198] :

إليـك تركت الأرض والمـال والأهــلا   لأسمع مـن داعـي قبولــك لي أهلا
وفيـك هجرت العيش أخضر نـاعماً   بــهـا ونسيـم الأنـس أعطـر معتّلا

ومنها :

ركبت إلى لقياك كلّ مطيّةٍ — مبرّأة أن تعرف الأبَ والنَّسْلا
إذا نسبوها فالتنوفة أمّها — ووالدها ماء الغمام إذا انهلّا
وما علمت يوماً غذاء وإنّما — أعار لها الأعضاء سائسُها فتلا
وقد ضمرت حتى اغتذت من نسوعها — فلو عرضت للشمس ما أسقطت ظلاّ
وما في سواها قدرُ مقعدِ راكبٍ — ولكنّها ساوت مساحتها الرجلا
لتبليغها المضطرّ تُدْعى ببلغةٍ — وإنْ قسْتَ بالتشبيه سمّيتها نعلا
سأشكرها جهدي وأثني لفضلها — قد بلّغتني خير من وطئَ الرملا
مليكاً كأنّ الشمس فوق جبينه — وليث الشرى في درعه حاملاً شبلا
إذا رام أمْراً لم يخف فيه من عسى — وإن قال كن لم يَخْشَ في غَرَضٍ مزلا

ومنها :

وما ذاك إلاّ أنّ في الله همّه — فيجري له في ذلك القول والفعلا
له فتكات في العدى وعزائمٌ — تسدّد رعباً في قلوبهم النبلا
نعدُّهُمُ أسرى وهم في ديارهم — ونحسبهم ما بين أهليهِمُ قتلى

ومنها :

همامٌ إذا ما الحربُ شبّت تقدّمت — به همَّةٌ حسبُ الشجاع بها فضلا

ومنها :

إذا أوعـد الأعداء لم يعرفوا البقـا — وإن وَعَـدَ العافين لم يعرفوا المطْـلا

ولا غـرو أن لاحـت نُحَيْلَـةُ بـاطـلٍ — فعاجِـلْ بهـا بالحقّ يعلـو ولا يُعْلى

ألم تـر موسى حين ألقى عصـاه لم — يُطق سـاحرٌ يلقي عُصَيّاً ولا حبـلا

وما ابنُ لبون الحرب يسطيع صولةً — إذا هـو قـد رام القنـاعيـر والبـزلا

ومنها :

تقـابلـه سـيفاً ومنــك تســابقاً — حسامٌ محلّى أو دعاءٌ قد استعلى

طلعـتَ بـأفقـيْ إمــرةٍ وخـلافــةٍ — كمـا اشتـرك النوران واتّحدا فِعـلا

وإنّ امتزاج الطيب بالطيب مكسبٌ — لـه قـوةٌ مـا كـان يعـرفُهـا قـبْـلا

رضيـتُ بتغـريب ليصحـب لفظـه — لـديّ بتقـريـب إليـك فمـا أحلـى

وبالشوقِ للأحبـابِ إذ أنتَ مؤنــسٌ — وكم وحشةٍ صارت قريناً إلى المولى

ومنها :

وللبيـن عنهـم جـائعــاً مترقّبـاً — وإذ سار موسى جائعاً لحق الرُّسْلا

جهـولٌ يــرى أنّ الحســادة شــرعـةٌ — فقل سامريٌّ صاغ من حَسَدٍ عجلا

ومـا زلت أوليـه من البِشْر والرضا — نصيبـاً ويولـي مـن إساءتـه كفــلا

إلـى حيـن أصمتنـي ســهامُ قِسيّه — فـأرّقنـي غـشّـاً وَيَتّمنـي بُخْــلا

وســرتُ طـريـداً في البـلاد كـأنّني — لأحمـد سمع قـد حـللتُ بـه عذلا

فأحمد ربي إذ مُنيتُ بغربةٍ ولم يرني صانعتُ وغْداً ولا رذلا

وربَّتما ماتت من الجوع حرّةٌ ولم تَرْضَ أن تختار من ثديها أكلا

فمن مبلغ الأعداء أنّي آمنٌ وأنَّ أذاهم عاد ممتنعاً بَسْلا

وإني بحيث الدهر قد صار خائفاً لإضراره بي أن أحمّله الكلّا

وإنّيَ منكم في جوار وأرتقي له البدر ما شان المحاق له شكلا

أما علموا أني بآخر آيةٍ من اقترفوا سحراً تورّثهم خبلا

قدمت بكم أجني السرور ويجتني عدوّيَ من فرط الحسادةِ لي نكلا

ولأبي الفضل العبّاس بن العبّاس بن غالب الهمداني المالقي يمدح السيد أبا إسحق بن أمير المؤمنين ويذكر خصومةً كانت بينه وبين الوزير أبي الحكم بن جُزيّ قريبه أيام مقامه بإغرناطة[199] :

لكلّ همٍّ على رغم العدا فَرَجُ طوبى لمن لم يكُنْ في صدره حَرَجُ

قد فرّج الله همّي وانقضى أربي فكلّ وجه من الآمال مبتهج

يمّمته في خصام عزّ مطلبه لمّا تحكّم فيه المطلُ واللَّجَجُ

بالسيّد الماجد الأعلى بلغت مُنى كم صافحت مهجتي كأنّها مُهَجُ

حصلتُ عند ترجّيه على أملي وقارعٌ بابه يوماً كمن يلجُ

فكنت أفْصَحَ من قُسِّ بن ساعدةٍ في مقطع الحقّ وانقادت لي اللججُ

لولاه لم يلتفْتني من أخاصمه ولم تَلِنْ شِدّة خَضْخَاضُها لَجَجُ

بالأمس أخبط بالعشواء في ظلمٍ ... وللمظالم وجه كلُّه سَمَجُ
فاليوم لي بَصَرٌ تسعى به قدمي ... حتى صراطِ الهدى، والحقُّ منبلجُ
سار الملائكة الرضى من عدله ... سَيْرَ الصواب فلا إثم ولا عوجُ
أثواب سيرته مهديّة وكفى ... أنّ الهداة على منواله نسجوا
يا أهل غرناطة في أرضكم جَسَدٌ ... مُرَكَّبٌ فيه روحُ القدس ممتزجُ
مُلْكٌ تَذلُّ له الدنيا فشرَّفكم ... برتبةٍ لم تكن في السرّ يختلجُ
ركائب الملك في المهد ارتحلن له ... ولم يصبهنّ تأويبٌ ولادَلَجُ
هذي المعالي أنوفٌ حفّها شَمَمٌ ... لكنها عَرْفَها يَسْتَنْشِقُ الأَرَجُ
هذي المكارم أعمارٌ يعيش بها ... في كلّ آونةٍ والناسُ قد درجوا
ملآن من كلّ فضل قد أحاط به ... كما أحاط بلحظٍ فاترٍ غَنَجُ
أيامه سررٌ أكنافه وزرٌ ... أفعاله غُرَرٌ آثارها سُرُجَ
رحابه في الندى.. تدرّجها ... وفي الحروب له الحومات تنفرج
يغشى الحروب ولا يخشى منيّته ... كأنّه بالمنايا فارحٌ لهجُ
حسامه وَشَلٌ من لمح رونقه ... تجري الدماء به كأنّها خلج
فهل سمعتُم بسيفٍ قبل منصله ... في خلْس لحظته يُفرى به الودَجُ
قلت الحجى لفظه في كلّ مشكلة ... فكلّ أمرٍ بهيم عنده بَلَجُ
إذا تفرقت الآراء في سببٍ ... بالعقل يجمعها طَّراً فتزدوجُ
له عزائم لو مرّت على سَبَجَ ... لابيضّ حتى تساوى العاج والسَّبَجُ
كاد الحِمامُ أن يلقى مسالمهً ... خوفاً فما يفعل الأرواح والمهجُ

يا سائلي عن أبي إسحق من ملكٍ ... ذكرى محاسنه ساعاتها حججُ

في مثل سيّدنا الأعلى جرى مثلٌ ... حدِّثْ عن البحر واستغرِقْ ولا حَرَجُ

نجل الخلائف من قيس الذين رقوْا ... مراتباً منتهى العليا لها دَرَجُ

من معشرٍ لهجوا من هديهم سبباً ... أبقت لهم مفخراً يا نِعْمَ ما نهجوا

بعد النبيّ وأصحاب النبيّ هُمُ ... خيرُ الورى وسواهم زائد همج

مولاي عبدكم القنُّ الذي سكنت ... أرجاؤه بعدما قد عمّها الهرجُ

إنّ الخصام حروبٌ أضرمت شُعَلاً ... ولا استثار بها نَقْعٌ ولا هرج

ما زلتُ مستطلعاً وَجْهاً أُسَرُّ به ... عند الخصام... ما زال يبتهج

أظنّهم من ليالينا أهلّتَها ... فأين أقمارها تبدو وتنبلج

بدأتمُ بداءة أرجو خواتمها ... سيفتح البابُ.... وهو مُرْتَتِجُ

ومَطلبي منكمُ صكٌّ مواقعه ... كأنما من ضلوع كلّها وهجُ

صكٌّ إذا لحظته المقلة انقشعت ... عنّي سحاب العدا واستركب الفرج

به سأملك أملاكي بمالقة ... ويرجع الحقّ ضخماً وهو منعرج

وصار من ينكر الأملاكَ يُثْبتها ... بحجة دخلوا فيها وكم خرجوا

صكٌّ كريمٌ به الدنيا قد ابتهجت ... في مقلتيّ وأحبابي قد ابتهجوا

ذكر الشهود وقاضيهم وطالبهم ... في نظم تلك السطور الغرّ مندرجُ

قد ضمنت بي إيصاءً وتكرمةً ... فما لهم عن طريق الحقّ مُنْعَرَجُ

أمنيّةٌ إن حبا نفسُ القضاء بها ... فُضَّ السقام وجلّى البرّ والفَرَجُ

ومن شعر أبي الوليد هشام بن عبدالله بن أبي العبّاس الجذامي المالقي يمدح باديس بن حبّوس[200] :

تمسَّكْ أيّها المولى بحزم فأنت الحازم البطلُ العميد
وصِلْ بالله صبرك تلْقَ خيراً وغبّ الصبر مغتبطٌ حميد
وكم مِنْ مَعْشرٍ قلّوا دفاعاً وما جبنوا وإنْ كثر العديد

ومنها :

بعيدٌ أن يحلّ الله عقداً تملّك فيه للدنيا عقود
مظفّر دولةٍ برضاه قامت (له) الدنيا ونحن بها قعود
رأى حقّ الخلافة جدّ حقٍّ فأقبل من رضاها يستزيد
وكان لها قديماً سَيْفَ نصْرٍ تُقَدُّ من الكماة به القُدودُ

ومنها :

يرونَ الموتَ في الهيجا حياةً كأنّ فناءهم فيها خلودُ
دنا باديسُ منها في جنودٍ ملائكة السماء لها جنودُ
أتى في غير يوم العيد فينا فكان لنا بذاك اليومِ عيدُ
فأعلنت الطبول له ثناءً وتاهت في مفاخره البنودُ
لملك في بُلُقّينٍ حُسامٌ حديد الحدّ يرهبه الحديدُ

ومنها :

كــذاك بنــو منــادٍ مُنْذُ كــانــوا سيــوفٌ ليـس تحملـهـا الغمــودُ
حللتَ محــلّ مــالقــةٍ بسَعْــدٍ تحــلّ بـــه الضغــائـن والحُقــود

ومنها :

فــأحيـيتَ النفـــوسَ به بفضـــل بـــه شكــر المهيـمـن يستزيـــدُ
ليهنِـــكَ يــا مظفـرُّ نيـْل مُلْـكٍ حــبـاك بـبـرّه البَـــرُّ الــودودُ
فـلا عُـرّيـتَ منــه ودُمْـتَ فينـا تـبيــد الحـادثــاتُ ولا تـبيـدُ

الوصف :

أكثر شعراء مالقة في شعرهم من موضوع الوصف، فوصفوا ما أحاط بهم وما وقعت عليه عيونهم، فمن ذلك قول أبي عبدالله محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الجذامي (ت631هـ) يصف دولاباً[201] :

ودائــرة فـي المــاء سبحــاً تخـالهـا كردّانة فـي كفّ محكمـة الغــزْل
فهـذي تُطير المـاءَ من فـرط سبحها وهـذي تُطير القُطْنَ من شدّة الفَتْل
لقـد شـاقنـي منهــا أنينٌ كأنـه أنيـنُ بكائي يوم بِنْتُ عـن الأهـلِ

ومن شعره يصف روضة ونهراً[202] :

أيا روضة تبدي نُجومَ أزاهرٍ وتختالُ في ثوبٍ من الحُسْنِ رائقِ
لقد سلَّ فيك النهر بيضاً كأنّها بياض المشيب في سوادِ المَفارق
إذا انساب ما بين الربيع تخاله سنى البدر حُسْناً أو وميضَ البوارق
كأنّ خرير الماء إذ يخصم الحصى مدامعُ محزونٍ ورنّاتُ عاشقِ

ومن شعر أبي عبدالله ابن عسكر الغسّاني المالقي في ناعورة[203] :

ودائر يسرق من مائه كواكبَ فهو بها صاعد
حتى إذا قام بها واستوى وقلت هذا فلَكٌ زائد
أهوت إلى الأرض كما قد جرت نيازك لاح لها مارد
فعاد من حليتها عاطلاً وهو إلى حالته عائدُ

ومن شعره في المعنى[204] :

وسابحٍ في الماء أعجِبْ به لم يعرف السبح ولا أنكرا
يجري مدى الدهر وما زال عن موضعه يوماً ولا قصَّرا
ويُنْتقى من مائه فضّة يسبكها من حينه جوهرا

ومن شعره في قوس[205] :

ألا يا ناظراً رميي تعجَّبْ كأنّي في الإصابة لحظ ريم
أسرّ بحسن رميٍ مَنْ رماني كأنّي قد رُميتُ على الهمومِ

إذا أرْمي السهام يقول هذا　　هلال الأفق يرمي بالنجوم
فلو أرمي على الشيطان يوماً　　سبقت إليه من قبل الرجوم

ومن شعره في أحدب[206] :

وأحدب تحسب في ظهره　　حبابة في نهر عائمة
مثلّث الخلقة لكنّها　　في ظهره زاوية قائمة

وله فيه[207] :

يا أوقص الخلقة بعداً فقد　　شوّهك الله بهذا الوقص
وزادك الله ولكنّها　　زيادة أكثر منها نقص
كأنّه في حملها صائدٌ　　يحمل من دون طيورٍ قفص

وله فيه[208] :

وقالوا أتهوى أحْدَبَ فأجبتهم　　أرى حبّه للقلب أسلى وأروحا
فقالوا فَصِفْهُ قلتُ : غصنٌ تجددت　　كمامته من قبل أن تتفتّحا

ومن شعر أبي عبدالله ابن عسكر الغسّاني المالقي يصف عشيّة أنس رحمه الله[209]:

أأنسى من الأزمان أُنْسَ عشيّةٍ ... أجلْنا بها الأحداق بين الحدائق
حدائق بيضٌ بالأزاهر وسطها ... جداول كالأسطار وسط المهارق
كأنّ على تلك الأباطح جرّدت ... صوارم لمّا خيف من كلّ طارق
صفت وصفا فيها الحصى فكأنّها ... المجرّةُ حُفَّتْ بالنجوم الشوارق
وقد أودع الأرواح عند هبوبها ... عليها يَدَيْ داود ربُّ الخلائق
يصوغ دروعاً فوقها كلّما جرت ... فيا تلك من حُسْنٍ للحظكَ رائق
وغنّت بها الأطيار وهي تجيبها ... فيا عجباً من حُسْنِ أخْرَس ناطقِ
أقمنا عليها بعض يوم كأنّه ... لمبصره في العمر لمعةُ بارقِ
مع ابناءِ صِدْقٍ طاهرين كأنّهم ... نجوم سماءٍ أشرقت بالمشارقِ
حسانُ الذي يبدو فويق جيوبهم ... أعنّةُ ما قد ضُخَّ تحت المناطقِ
أقرّ بنو الدنيا جميعاً بأنّهم ... شياه وكلّ الناس مثل البيادق
يديرون في وصف العلوم كؤوسهم ... وليس سوى الآداب خمراً لذائق
رأتْ أنْسَنا شمسُ النهارِ فلم تَزَلْ ... تسارعُ نحو الغرب سَيْرَ السوابق
وغارت بنا فاصفرّ للناس وجهها ... كما اصفرّ من خوف النوى وجه عاشق
عجبتُ لها قد أبصرتنا ولم تقف ... وقد وقفت قدماً لقتل العمالق
فهلا أقامت كي يدوم وصالنا ... ولو قَدْرَ ما ترتدّ مُقْلةُ وامق
فتبّاً لدهرٍ لا يدوم نعيمه ... لقد قطعت للأمن منه علائقي

تطول على الحرّ اللبيب صروفه | كَلَيْلِ سليم أو عذاب منافقِ
وتقصر ساعاتُ الوصال إذا أتت | كخلّب برقٍ أو كغفلة سارق
فيا لزمانٍ بالورى متقلّبٍ | خلائقه للخلْق شرّ الخلائقِ
كأنّ بني الدنيا لوقع صروفها | عصافر تُرمى عن قسيّ البنادق
فما منهم من يستطيع تَحَصُّناً | لإصماء سَهْم للمنيّة راشقِ
يُسَوّي عزيزَ القوم مثل ذليلهم | لديه ومن في السفحِ أو في الشواهق
فما عَمَّرَتْ عمرو بن هندٍ جنودُه | ولا أنعمَ النعمانَ قصرُ الشقائق
أطعتُ الهوى حتى خُدِعْتُ ومن يطع | هوى النفس يخدعه كخدع المُماذِقِ
كأنّ جميعاً إذ سقاه حمامه | بكأس حقاق خرّ من رأس حالق
فيا نَفْسُ كُفّي قد بلغتِ بيَ المدى | أمّا لكِ بَعْدَ الشَّيْبَ تَوْبَةُ صادقِ
ويا ربّ عفواً إنني منك واثقٌ | بمنٍّ على عَبْدٍ بجودك واثِقِ

وله يصف سيلاً دخل على أمير المؤمنين أبي العلاء في رياضه بوادي ريّة[210] :

يا أيّها الملك الذي قد أشرقت | أقطار ريّة من سناه ونوره
يا من يرينا الشمس فوق جبينه | حسناً وليث الغاب فوق سريره
وإذا الزمان رأى رجاحة عقله | صرفته عن ثهلانه وثبيره
عذراً لوادٍ أمَّ قصد مقامكم | كدراً وحسن رواه في تكديره

عجلان محمرّ الأديم كأنّما　　غلب الحياء عليه عند خطوره

يحكي الحوامل باضطراب فؤاده　　قلقاً وعدْوَ الريم عند مسيره

سيريك متن السيف عند صفائه　　جرياً وسرد الدرع عند فتوره

وافى يقبّلُ في الثرى إذ لم يُطِقْ　　تقبيل كفٍّ تزدري بنميره

ويروح يقضي بعض حقكم الذي　　عجزت أولو الأفهام عن تعبيره

منع الكلام وقد تعيّن شكركم　　فأتاك يعرب عنه صوت خَرِيره

الغزل:

كما أكثر أهل مالقة من شعر الغزل، ومن ذلك أبيات لأبي عبدالله ابن عسكر الغسّاني المالقي يقول فيها[211]:

ولّما أذاب الهوى مهجتي　　فأضحَتْ كطاسم (رَسْمٍ) دَثَرْ

ولم يبقَ عَينٌ تراه العيونُ　　منّي ولا أثَرٌ مِنْ أثَرْ

تعرّضْتُهُ قاصداً كي يرى　　شحوبي فيشفق أو يعتبر

وناديت: رفقاً! فقال: اعْجَبُوا　　أمِنْ دون جسم يُلام البَشَر

وقال: أتبصرني هازلاً　　فإنك لستَ ترى بالبصر

فقلت: لقد صدق القائلون　　أُرِيها السهى وتُريني القمر

ومن شعره أبي عبدالله ابن عسكر الغسّاني المالقي[212] :

أهـواكَ يـا بـدرُ وأهـوى الـذي يعذلني أيضـاً وأهـوى الرقيـب

والجـارَ والـدارَ ومَـنْ حلَّهـا وكـلَّ مَـنْ مـرَّ بـهـا مـن قريـب

مـا إنْ تنصَّـرْتُ ولكنّنـي أقـولُ بـالتثليث قـولاً غـريـبْ

تُطـابـقُ الألحـانَ والكـأسَ إذْ تبسِـمُ عُجْبـاً والغـزالَ الربيـبْ

وقال أبو العبّاس أحمد بن مؤمّل «من بيت كبير بمالقة، وأبو العبّاس من سَراتهم وساداتهم في الأدب والشعر»[213] :

وكـأسٍ على وجـه الحبيب شربْتُها كأني أُسقى الشمسَ أو أنظُرُ البدْرا

سـقيتُ بـه مَنْ لا أبـوحُ بـذكـرِهِ ثـلاثـاً فهـزَّ السُّكرُ معْطَفَهُ النَّضْرا

وشعشعتُها كيمـا تغُصَّ جماحَهـا وقـد ورَّدَتْ مـن خـدّه ذلك الزهرا

فقـال وقـد زادتْ بخـدّيْـه حُمْـرةٌ كما أبصرَتْ عيناكَ في الشَّفَقِ الفجرْا

خـلعَتَ عليهـا لـلحَبـابِ قِـلادةً فعوّضَ خدّي سُكْرُهـا حُلَّة حمَرا

ومن شعر أبي القاسم محمد بن هاشم بن نجيب الهاشمي المالقي (ت ٦١٣هـ) من أشراف مالقة[214] :

أضـحـى فـؤادُكَ نهْبَ الأعيُنِ النُجُلِ وضـاعَ صبرُكَ بيـن الركْـب والإبـلِ

وهـام قلبُـكَ بالأظعـانِ فابتـدرَتْ سـوابـقُ الدمْع بيـن العُذْرِ والعـذلِ

لـم تـدْرِ يـوم سُليْمى هـل تودّعُنا أن هـل تـودّعُ قلبـاً واهـيَ الحيـلِ

راحـوا وفي كلّ قلْب تَرْحهُ وجوىً   وخلّفـوك بقلْـب منـك مختبَـلِ
وبـالفـؤاد وإنْ ضـلّ الفـؤادُ لـه   ساجي المحاجر أحوى ساحر المقَلِ
منـوَّعُ الحُسْنِ ساجي الطرْف مقلتُه   تُـزري بهاروت أو تُسْبي بنـي ثُعَـلِ

ويقول عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي (ت581هـ)، من شعره[215]:

وذي نفَـسٍ أنَـمَّ مـن الخـزامى   وثغـرٍ مـثلمـا عـبقَـتْ مُـدامُ
شـكَوْتُ لـه الهـوى وبكيت شـوقاً   فـأعـقَـب عبْـرتي منـه ابتسـامُ
فقـلت: أضـاحـكٌ منّـي وهـذي   دمـوعي عـن لظى كبدي سجام؟!
فقـال: الـروضُ تضحكُ كلَّ حينٍ   أزاهــرُه إذا دَمَــعَ الـغـمـامُ

وله في قول (لا)[216]:

قـد أجمـع النـاسُ على بُغْضِ (لا)   ولسـتُ أنسـى أبـداً حُـبَّ (لا)
لأنـنـي قـلـت لـــه: سـيّـدي   تحبُّ غـيري أبـداً؟ قال: (لا)

ويقول أبو الفضل العبّاس بن غالب الهمداني[217]:

لـهُ مُقَـلٌ كصـافي المـاءِ زُرْقٌ   وخضـرةُ بُـرْدَةٍ وجمـالُ غُـرَّة
صفـاتٌ جُمِّعـتْ للأُنـس فيـه   فحُسـنٌ ثـمّ مـاءٌ ثـم خُضـرة

ولأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أصبغ بن أحمد بن أبي العبّاس الجذامي، من أهل مالقة ومن جلّة أعيانها، يتغزل ويذكر الأردنّ[218]:

اربَعْ بربْع الذي تُسليكَ أربعُهُ ... حتى يصيفَ مصيفٌ ثم مَرْبَعُهُ
واغنَ بمغنى الذي تغنيك غنّتُه ... عن الأغاني غناءَ الشوقِ يطبعُهُ
واحلل بمورد رحْبٍ حلُّهُ حَرَمٌ ... حلّيتَ منه فصرفُ الدهر يمنعه
القدُّ منه قضيبٌ ماسَ فوقَ نقا ... ريح الصَّبا فانثنى خطْواً تزعزعه
ولحظة بابليٌّ سحْرُهُ حَور ... في كلّ قلْبٍ له نَفْثٌ يولّعه
والجيدُ جيدُ غزالٍ قد رنا جَزَعاً ... إذ مسّه ليثُ عرين فروّعه
ظبيٌ تكامل فيه الدلُّ فهو طلٍ ... كما تكامل فيه الحُسْنُ أجمعُه
لاحتْ عِشاءً على خدّيْه شمسُ ضحى ... فعنّ لي يوسفيُّ الحُسْنِ يُوشعُه
أستودِعُ الله مَنْ لم أَلْتَمِحْهُ ضحىً ... يومَ الفراقِ ولم أقدر أودّعه
بدرُ الكمال الذي في القلْبِ مسكنُهُ ... وإنْ نأى بي وبالأردنّ مطلعُه
ما خِلْتُ يومَ النوى أنّي أعيش غداً ... لكنْ حبيبيَ لم يصرعْهُ مصرَعُهُ
عاينْتُ يونسَ في التشبيه حين بدا ... «لا تعذليه فإنّ العذل يولعُه»

ويلاحظ في هذه الأبيات أنّه يذكر الأردنّ في سياق الحنين والتشوّق، ويعارض قصيدة ابن زريق الشهيرة التي مطلعها:

لا تعذليه فإنّ العذل يولعه ... قد قلت حقّاً ولكن ليس يسمعه

الإخوانيّات:

قال الفقيه أبو عمرو بن سالم: كَتبتُ على منزل أبي التقى صالح بن جابر بن صالح بن حضرم الغسّاني المالقي، اسمي، فجاء وقرأه فكتب إليّ[219]:

أَلَفَيْتُ خطّك سيّدي بالبابِ ... ففهمتُ منه تهمُّمَ الأحبابِ
وعلمت أنك إنما وافيتَني ... ليرى بأنّي من ذوي الألباب

فجاوبه أبو عمرو بن سالم:

كَتَبَ المتيَّمُ خطَّهُ بالبابِ ... لتعدّه من جملة الأحبابِ
وتشرّفاً بجلالكم وخلالكم ... يا مولعاً بلُبابِ كلّ لُبابِ

الحنين إلى الأوطان:

كان أبو عبدالله محمد بن خليفة الأنصاري (ت 500هـ) قد تغرّب في الفتنة إلى جهة تُدْمير فقال[220]:

أعادَ الله أيّام التلاقي ... كما كنّا بها قبل الفِراقِ
وأكمل بالسرور إيابَ نفسي ... فقد آل السرور إلى محاقِ
نأى صبري غداةَ نأيْتُ عنكمْ ... وهل تنأى همومي واشتياقي
لئن ضنّ الأسى بالصبر عنّي ... فما ضنَّتْ بأدْمُعها مآقِ

أحـــنُّ إلى الـرفــاق لأنّ أُنْســـي ... بـأخبــار الأحبّــة في الرفــاقِ

وأفـــرح بـالهــلال لأنّ خـلّـي ... بــه فـي غـير آنــاء المحـاقِ

كـأنّـي قـد نـأيت وصـرت رهنـاً ... بتُـدمير أسـيرٌ فـي وثــاق

لقـــد أبقـى فراقُكـمُ بقلبـي ... كَـلوماً لـدغ حرقتهنِّ بـاقِ

أرى ليلـــي علـــيَّ إذا تدجّى ... ســـواءً والنهـــارَ بمـا ألاقـي

أقـول وقـد ذكـرتـك فاستقادت ... لـذكـرك أدمعـي ذات اشـتياق

ســلامٌ تـرجـف الأحشـاء منـه ... علـى الحَسَـن بن وهـب والعراقِ

على البلـدِ الحبيـبِ إلـيَّ غـوْرا ... ونجـــداً والأَخ العــذْب المـذاقِ

الرثاء :

ومن قصائد الرثاء قصيدة لأبي عبدالله ابن عسكر الغسّاني المالقي يرثي بها أبا بكر ابن صفوان القيني المالقي المتوفى عام 621هـ، يقول فيها[221] :

أمّـا الحِمـامُ فمحتـومٌ ومقـدور ... فالصبر أولى ومَنْ ينفث فمصدور

دعْ عَنْكَ زُخْرُفَ عيشٍ لا بقاءَ لـه ... كأنّـه فـوقَ ظهـر المـاءِ تصويـر

واخْلَعْ ثيابَ الأماني فهي كاذبـةٌ ... دنـوّهـا وإنْ امتـدّ المـدى زور

لا يتـركُ المـوتُ ذا عـزٍّ لعـزّته ... ولا الـذي هـو مـذلـولٌ ومحقـورُ

سـيّان للمـوت آسـادٌ وغيدُ فـلا ... وذو التـواضـع منّـا والجبـابيـر

مَـنْ لم يُصِبْهُ غداً وافـاه بعـد غـدٍ ... فمـا يفيـدك تقـديمٌ وتأخيـر

دع التعمّق في فعـل وفي كلـم فذو البلاغـة عنـد الموت محصور

والمـوتُ لا يعـرفُ الإعرابَ عاملُـهُ فيستـوي فيـه مـرفـوع ومجـرور

سـلا خبيراً بـهـذا المـوت إنّ لـه عجـائبـاً هـي لـلألبـاب تـذكيـر

واسْتنطِقا أثـر الـماضي ففيه وإنْ لم يَسْطِع النطـقَ تعريبٌ وتعـبير

فهـل عـدا الموتُ عاداً عندما كثروا فـلم تُفِـدْ قُـوَّةٌ فـيهم وتكثيـر

وعـن ثمـاد ثمـود هـل تحيّنهـا من حـادث الدهـر تعطيل وتغرير

واذكر أخـا الخضر إذْ أمسى بقنّته فمـا تصبّح إلاّ وهـو محشـور

وسَـلْ مَعـافر إذْ طـالت سنوه أما غـدا بضـربِ المنـايا وهو معفور

واستفهما لُبَداً عـن طـول مدّتـه أخلَدتْـهُ فأمسـى وهـو منظـور

وعـن ربيـع ومـا يخشاه مـن مطرٍ ومـن ريـاحٍ أبَقَّتْـهُ الدهـاريرُ؟ !

وعـن لبيد وقد أبـدى السلامة من طـول الحيـاةِ ألـم يلحقـه تغيـير

وعن جديس وطسْم كم تنطّس مِنْ آثـارهـا فـهـي إن أبصَرْتَهـا بـور

وعـن معـدٍّ ومـا عـدّوه مـن ولدٍ لـه أمِنْهُـمْ مـع الأحيـاءِ مذكور؟ !

كم قد أشادوه من قصر وكم عمروا فمنهـم اليـوم بطنُ الأرض معمـور

قـد مـات (مات) لعمر الله منتجة إنّ الجميع بسهـم المـوتِ مقهـور

أعِدْ أحـاديث هـذا المـوت فهي لنـا أنْـسٌ وهـنٌ لذي السلوانِ تكـدير

وهـوِّن الأمـر إنّ الموت مـن عظـم معـروفه في نفـوس الخلق منكـور

فـاذكر فقيداً أتتْنـا كـلّ فـادحـةٍ بفقـده بنظـام الأنـس منثـور

وقـابلتنـا وجـوهُ العيـس بـاسـرةً وأبصـرتْنـا عـيونٌ للمهـا عُـورُ

وأضرمت (من) لهيب الشوقِ واتّقدت ... صدورنا فهي تشبيهاً تنانيرُ
وأرسلت سُحُبُ الأجفانِ أدمعها ... فكلّ خدٍّ بماء الدمع ممطور
على الذي إنْ يَطُلْ وَصْفُ الرثاءِ له ... فإنّما هو في التحقيق تقصير
على المقدّم في الأمر الجليل له ... في المشكلات إذا أشكلْنَ تصدير
على الذي انتثرت شُهْبُ السماء له ... وَدُكَّ في الأرض من أرزائِهِ الطُّور
على الصفيّ ابن صفوان ومَنْ شَرُفَتْ ... به اليراعُ بهاءً والمحابير
إيه أبا بكرٍ الأعلى وكم طمعت ... نفسي بها لو تأتيها المقادير
ألفّ عنك قضيب المجد في كفنٍ ... عليه كلّ حنوطِ الطيب مذرور
ما كان أغناك عن هذا وذاك فمن ... ثناكَ تُرْبٌ ومن ريّاك كافورُ
قد أظْلَمَتْ بعدك الآفاق من ولهٍ ... كأنّما اتّصلت فيها الدياجير
إذا ذُكِرْتَ فأنفاسٌ مصعّدةٌ ... كأنّ ذاكرك الملهوف مهبور
من المؤمّل أمّا ذو الدُّنا فله ... شُغْلٌ وذو الدّين في دنياه مقهور
وكنت في دين مضّاءِ العزائم قد ... أصاب كلّ عسير منك تيسيرُ
ما كنت كالناس لكنْ إن يُقلْ بَشَرٌ ... ففضّةٌ قد حكاها اللونَ قزدير
لو كان صفوكَ للماءِ القراح لما ... بدا بصفحيه للورّاد تكدير
أو كان غربكَ للسيف الحسام لما ... بدا به من قِراع الهند تأثيرُ
أو كان جودك في زهر الرياض لما ... حمى جنى الورد من شوكٍ سنانيرُ
بنى لك الله بين الخَلْقِ منزلةً ... لها العلاءُ أساسٌ والتقى سورُ
يا مخلصاً وضع الله القبولَ له ... حتى استوى منه منهيٌّ ومأمور

لو بعضُ حبّك بين الخلقِ كلّهم … مقسَّمٌ لم يكُنْ في الناسِ مهجور

مازِلْتَ تُحْسِنُ حتى في الممات فقد … أصبحْتَ والكلُّ منّا فيك مأجور

أقمتَ بالعدوة القصوى وأنفسُنا … لها من الذُعْرِ تسبيحٌ وتكبير

حليفَ حصرين أمّا من سيوف عدىً … فمحصر ومن الأمراض محصور

وكلّ ذلك إن حقّقته عَرَضٌ … قد انقضى وهو عند الله مدخور

جرت ودائرة الأفلاك تحسدها … في اليمّ تحملك الفُلْكُ المواخير

ومَنْ لنا بك بدراً لو تسير به … لم يعقب الشمْسَ في الأفلاك ديجور

لو يعلمُ الفُلْكُ ما يحويه من كرمٍ … لم تستطع سيره الفُتحُ الكواسير

وهت عليك ضلوع منه فانقبضت … حزناً وفارق جنبيْه الدساتير

وقد بدا منه إشعارٌ فمن ولَهٍ … أنينه وهو عند الله تصوير

وكنتَ مجتمع البحرين فاجتمعت … ثلاثة منه ماءُ المُزْنِ معصور

عذبٌ يفيض على العافي عوارفه … درّاً وكلّ نوال البحر منزور

إنّي أظنّهما جارا به حَسَدا … وكلُّ ذي حَسد لا شكّ مجزور

كأنّ زورقه الجاري . . . . . . … جَفْنٌ قد اسْتُلَّ من إنسانِه النُّور

لمّا انحدرْتَ إلى شطّ المجاز وَقَدْ … تقدّمتْك التهاني والتباشير

وهبّت الريح طيباً عندما فصلت … به الركائبُ في البيداء والعيرُ

فطار فينا سرورٌ لو يخوض بنا … في لجّة البحر أضحى وهو معبور

فمن مقيمٍ إلى لقياك مرتقبٍ … ومُدْلجين لهم جدٌّ وتشمير

فبينمـا نحـن في أمْـنٍ وفي فـرحٍ والكلّ منّـا بقـرب الـدار مسـرور

وافى المُصـابُ فبـاكٍ وهـو مبتسمٌ وهـائـمٌ منـه في الضـدَّيْنِ تفكـير

يبكـي ويـضحكُ لا عقـلٌ ينبّهـه كمـا تحـرّق دون القصْدِ محـرور

ياواصلاً لم يصِلْ والناسُ قد وصلوا كأنّمـا هـو طيـفٌ زار مذعـور

أستـودع الله منـك الفكر أيّ فتـى على الفضـائـل والآدابِ مفطـور

مبـاركٍ لـو يُنيـل التـربَ سـائلـهُ لعـادَ تبـراً تسـاويـه الدنـانيـر

لـه مـن الجـدّ تسخيـر يخلّصـه ومِـنْ تنـاولِـهِ الميمـونِ إكسيـر

حسيـبُ ربّـة مـن قومٍ لهم شَـرَفٌ تـزهـى الدواويـن منـه والدفـاتيـر

سيـوفهـم فتحتهـا وهـي مغلقـة حتّى شفى الدينَ منها وهو موتـور

قَيْنٌ ومـا القيْـن إلاّ سـادةٌ نُجـبٌ تزهـى القبـائـل منهم و العشائيـر

توارثـوا المجـد مـن جـدٍّ إلى وَلَـدٍ تـأتـي أكـابرُ إنْ مَـرَّتْ أكـابيـر

حتّى أتيتَ أبـا بكر قـد اجتمعت لـكَ الفضـائـل مـنهـم والمـآثيـر

فـردٌ تفتّـق عنـه كـلّ مكرمـةٍ كمـا تفتّـقُ فـي الروضِ الأزاهيـر

يبكيـك كـلُّ طريـد الدار منتـزحٍ عـن الأقـارب أعيتْـهُ المعـاذيـر

قـد كـانَ منْـكَ إلى ظلٍّ ومستنـدٍ يـأوي ويعقبـه المعسورَ ميسـورُ

يبكيـك طـالـبُ حـاجـاتٍ معـذّرةٍ (لـه) لـبـابِكَ إدلاجٌ وتـهجيـر

فـالآن يـرجـع لا مـا رامَ أدركـه منهـا فحبْلُ رجـاءِ الحاجِ مبتـور

إنّـي لأبكيـك عـن خُبْـرٍ ومعرفـةٍ فـأنْتَ عنـديَ معلـومٌ ومخبـور

إنْ يُؤْثَر الفضلُ في الأقوام عن فِرق ... شتّى فعنكَ جميع الفضل مدخور

أوْ يوصَف الناس إفراداً بمكرمة ... فأنت بالكلّ موصوفٌ ومشهورُ

قد أقفرت أربُعُ الإكرام منه وَقَدْ ... سفت عليها لأرواح البلى مور

وعندما كان غُصْناً مثمراً كرماً ... هبَّتْ عليه من البلوى أعاصيرُ

ومُدَّ في القبر لكن و........ ... لأنّه فيه حتى الحشْر مقصور

(دومي) على الدهر طول الدهر والتزمي ... إعظامَ أعظُم مَنْ في التُرْبِ مقبورُ

فقد تأنّس سكّانُ القبورِ به ... كما توحّشَ مَنْ في الدورِ والدورُ

مَن المُعزَّى وكأسُ الحُزْنِ دائرةٌ ... فالناسُ مخمورةٌ سكرى ومخمورُ

عُزِّيتُ فيك لأنّ الناسَ قد علموا ... أنّي إذا متُّ وجْداً فيك معذور

(جاف) عن الغمض منك الجفن والهفاً ... للكلّ منهم من الأرزاء موفور

هذا شقيقك لا صبْرٌ يؤنّسه ... كأنّه بسيوف الحتف معقور

هذا خليلك فوقَ التُّرب منعفرٌ ... كأنّه لسهامِ الحزنِ مصبور

فيا بنيه اخلفوا فينا مراتبه ... فالزُّهر تجلو الدجى والبدرُ مستورُ

ولتلْزَموا كلّ فعلٍ كان يلزمه ... من المعالي وسيْرِ مثله سيروا

حيّا ضريحاً حواه كلّ منهمرٍ ... ولا تعدّاه تقديسٌ وتطهيرُ

وحلَّ روضةَ خُلْدٍ لا زوال لها ... تغدو عليها (له) الولدان والحور

إنّ القلوبَ إليه الدهرَ مائلةٌ ... وأعينُ الناسِ وجداً نحوه مُور

ومن الرثاء ما قاله العالم المشهور أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي الأعمى صاحب كتاب «الروض الأنف» في شرح السيرة النبويّة، حيث أغار الفرنج على بلده سهيل وخرّبوها، وقتلوا أهله وأقاربه، وكان غائباً عنهم، فاستأجر من أركبه دابّة وأتى بها إليها، فوقف بإزائها وقال[222]:

رابَ المحبَّ من المنازل أنّه ... حيّى فلم يرجعْ إليه سَلامُ
لمّا أجابنيَ الصدى عنهم ولم ... يلج المسامعَ للحبيب كلامُ
طارحْتُ وُرْقَ حَمامها مترنّماً ... بمقال صبٍّ والدموعُ سجامُ:
يا دارُ ما فَعَلَتْ بكِ الأيام ... ضامتْكِ والأيّامُ ليسَ تَضامُ

الحكمة والشكوى:

أنشد الفقيه أبو عبدالله بن عميل الأديب أبا محمد غانم بن وليد بيتين، وهما[223]:

وإذا الديارُ تغيّرت عن حالها ... فدع الديارَ وباكر التحويلا
ليْسَ المقامُ عليك حتماً واجباً ... في بلدةٍ تدَعُ العزيز ذليلا

فاستحسن ذلك، وبادَرَ للمعارضة، فقال:

لا يرتضي حُرٌّ بمنزلِ ذلّةٍ ... لو لم يجدْ في الخافقَيْن مَقيلا
فارْضَ الوفاء لحرِّ نفسكَ لا تكُنْ ... ترضى المذلّة ما حييتَ بديلا

واخصص بـودّك من خبرتَ وفـاءَهُ ... لا تـتّخِـذْ إلاّ الوفـيّ خليـلا

إنّ الصـديق إذا أحـبَّ صـديقـه ... أثـنى عليـه بكـرةً وأصيـلا

ولقـد خبرتُ النـاسَ مُنْـذُ عَرَفْتُهُـمْ ... فوجدتُ جِنْـسَ الأوفيـاء قليـلا

سـقيـا لأيّـام الشبـابِ فـإنّهـا ... كالإلـف جـاور أن يجـدّ رحيـلا

قصُرَت أمـانٍ كنت أرجـو نيلهـا ... قـد عـاد ليـلي بعـدهنّ طويـلا

قد مـات روضـي بعـد ذلك جدبةً ... وغـدا فـؤادي بعـدهـنّ عليـلا

وقد نُعِيَتْ لأبي عبدالله محمد بن علي بن خضر بن هارون الغسّاني ابن عسكر المالقي (ت636هـ) نفسه، وآن أن تغرب من جملة معارفه شمسه، ومن شعره في ذلك رحمه الله[224]:

ولمّا انقضت إحدى وخمسون حِجّة ... كـأنّـيَ منهـا مـا تذكَّرْتُ أحلـم

ترقّيـت أعـلاهـا لأنظـر فـوقهـا ... من الحتـف عنّي علّني منه أسلم

إذا هـي قـد أدنـت إليـه كـأنّمـا ... لـترقيـه فيهـا نحـوه وهـي سُلَّـمُ

ومن شعره[225]:

إلى الله قـوم قـد تعـرّضَت الدُّنى ... لهـم ورمتهـم كي تصيـب فـراغوا

وتـبّـاً لنفسـي إنّهـا عـن طريقهم ... تميـلُ لقـوم بـالجهـالـة قد راغـوا

أهـاب ذنـوبـاً صَيَّرتْني لميتـه ... إهـابـاً ومـا إلا المتـاب دبـاغُ

تقسّمـتِ الأعضـاءَ منّي بطالةً ... فللّهـو قـلـبٌ والـرقـادُ دمـاغُ

وبيني وبين النفْسِ في كلّ حالةٍ ... دفاعٌ فتُرديني مِراً ورواغُ

عجزتُ فما وسم الجواد بلائحٍ ... عليَّ ولكن للوساد صداغُ

وأخلدتُ للراحاتِ والموتُ يستوي ... أولو ضَنْكِ عَيْشٍ عنده ورباغُ

ومن شعر أبي التقى صالح بن جابر بن صالح بن حضرم الغسّاني المالقي يذمُّ أبناء الزمان[226]:

عَجَباً لأبناء الزمانِ وحالهم ... ما منهم للدهر غير مساعد

إن جاد جادَ جميعهم وتسارعوا ... لمراده وقتل كلّ معاند

وإذا رأوه سطا على من قد سطا ... خانوه واتبعوا سبيل الوالد

ومن شعر أبي عمرو سالم بن صالح الهمداني (ت 620هـ) وكتب (به) إلى الفقيه الأستاذ أبي عليّ الإستجيّ[227]:

عَدِمْتُ لذيذَ العيْش بَعْدَكَ والكرى ... وأشغلْتُ قلبي لوعةً وتذكُّرا

وكم ليلةٍ قد بتُّ فيها مولّهاً ... مخافة نَفْسٍ أن تذوبَ تحسُّرا

أقابلُ مَسْرى الريح من نحو أرْضكم ... فيحرمني بَرْدَ النسيم إذا سرى

لقد خابَ ما أمّلتُ مُذْ سِرْتُ عنكمُ ... ومَنْ ركبَ الآمالَ لم يَحْمَدِ السُّرى

تنكّر لي دهْري ولم يَدْرِ أنّني ... عرفْتُ جليَّ الأمْرِ لمّا تنكّرا

وأتحفني فكري فوائدَ جمّةً ... فما زدْتُ إلاّ عِبْرةً وتفكُّرا

يقولون لي صَبْراً على البُعْدِ والنّوى ... ومُذْ بنْتَ عنّي ما رُزِقْتُ تصبُّرا

وممّا شجاني أنّني بتُّ مُغْرماً | بأزهر يحكي البَدْرَ حُسْناً ومنظرا
يؤرّق جفني منه غُنْجُ محاجرٍ | تعدُّ منام الجفنِ حِجْراً مُحَجّرا
ولولا الذي أخشاهُ من جَوْر حكمه | لحدّثتك الأمر الخفيَّ كما جرى
وبُحْتُ بمكنون الضميرِ إليكُمُ | وأظهرْتُ وجْداً كان في القلب مُضْمَرا
ولا بدّ من شكوى فتعذِرَ مُدْنَفاً | حليفَ سَقامٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا

ومنها :

ولكنّه مُذْ لاح آسُ عذارِهِ | تجنّى فلا يلوي على مَنْ تعذّرا

ومنها :

شراني ببخْسٍ وهو في الحُسْنِ يوسفٌ | وما باعني إلاّ بأرخص ما اشترى
فيُمسي، إذاً ما أظْلَمَ الليلُ، ظالمي | ويهجر إن صام النهارُ وأهجرا
ولا ذنْبَ إلاّ أنني بُحْتُ باسمِهِ | ولا بدّ للمحزون أنْ يتذكّرا

ومنها :

فكُنْ ناصري إنْ شئْتَ في موقف الهوى | فحقَّ لمثلي أن يُعانَ ويُنْصرا

ومنها :

ألسْتَ الذي تزهى به أرضُ ريّةٍ | فريّا رباها فاح مسكاً وعنبرا

ومنها :

وَنحنُ بنو هَمْدان والأصل واحِدٌ نمَـا فرُعنـا بالمكـرمـاتِ وأثْمـرا

ومنها :

ولولا حلول الشَّيْب كرّرْتُ مُنْشِداً «سما لكَ شوقٌ بعد ما كانَ أقْصرا»

ويقـول أبـو محمـد عبـدالله ابـن الوحيدي، قـاضـي حضـرة مـالـقـة (456هـ - 542هـ)[228] :

ولمّا بدا شيْبي عطفْتُ على الهدى كما يهتدي حِلْفُ السُّرى بنجـوم
وفـارقـتُ أشـياع الصبابـة والطِلا ومـلْـتُ إلـى أهـلَيْ عُـلاً وعلـوم

خاتمة

كانت كورة ريّة على الساحل الجنوبيّ الشرقيّ للأندلس، ومالقة قاعدتها الرئيسية، أردنّاً ثانياً، وقد أطلق عليها المؤرّخون الأندلسيون اسم الأردنّ، مثلما أطلقوا على إشبيلية اسم حمص وعلى غرناطة اسم دمشق، لكنّه أردنٌّ خارجٌ من رحم أردنّ الشرق، وكانا في مكانين متباعدين يفصل بينهما بحرٌ عظيمٌ يتوسّط الطريق بين الشرق والغرب، لكنهما مع ذلك يجلسان متقابلين أحدهما على ساحل ذلك البحر من جهة الشرق، والآخر على ساحله من جهة الغرب يتصافحان بالشوق والحنين كلّ منهما للآخر.

وكان لكلّ منهما مدنٌ وسواحل وصناعة مراكب وتجارات، وكان لكلّ منهما بحرٌ ونهرٌ وقلاع وحصون وآثار أوليّة، وزراعاتٌ متشابهة: رمّان وتينٌ ولوزٌ وأعناب، ولكلّ منهما موانئ وصناعات فخارية وصناعة الوشي، ولكلّ منهما حمّاتٌ حارّة وينابيع باردة، وأكثر ما يجمع بينهما أن قبائل أردنّ الشرق كان لكلّ منها امتدادٌ في ريّة ومالقة، فكان الأمويّون عندما يبعثون بعوثهم من الأردنّ يحرصون على أن تضمّ هذه البعوث رجالاً من قبائلها كافّة، فكان في ريّة ومالقة مثلما كان في أردنّ الشرق أقوامٌ من عاملة وجذام وغسّان والقين والأشعر وهمدان وبلي ولخم ومذحج وخثعم، حتى إنّ بعض من ولي الأندلس من أهل الأردنّ ولي الأردنّ أيضاً، كما فعل ثعلبة بن سلامة العاملي.

وظلّ أهل الأردنّ في المشرق والمغرب على موقفٍ واحد من الأمويّين، إذ ناصروهم عند قيام دولتهم في المشرق واستمروا يناصرونهم عند قيام دولتهم وتجديدها في المغرب والأندلس، ولذلك كانوا يتمتعون بمكانة عالية عند أمراء بني أميّة وخلفائهم حتى سقوط الخلافة الأمويّة في الأندلس سنة 422هـ.

ومنذ أن اتخذ أهل الأردنّ من كورة ريّة ومدينة مالقة مستقرّاً لهم عندما أنزلهم فيها أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبي سنة 125هـ، وكانوا بضعة آلاف، أخذوا يتكاثرون وتزداد أعدادهم سنة بعد سنة، واشتهرت منهم مع مرور

الزمن بيوتاتٌ وذوو أحساب وأسرٌ علميّة وأدبيّة ودينية، وبرز منهم أعلامٌ في الأدب والفكر والفقه والعلم والتأليف والقضاء والعسكريّة، وكانوا يتباهون بأحسابهم القديمة، وكان بعضهم يحفظ سلسلة نسبه حتى جدّه الذي خرج من الأردنّ إلى الأندلس، وكانوا يتفاخرون بأنهم ورثوا المجد كابراً عن كابرٍ. ومن بيوتات مالقة بنو عمثيل العامليّون، وبنو أبي العبّاس الجذاميّون، وبنو حسّون الكلبيّون، وبنو الحسن الجذاميّون، وبنو عسكر الغسّانيّون، وبنو صفوان القينيّون، وغيرهم.

وقد شهدت مالقة خلال سكنى الأردنيّين بها حركة علميّة وأدبيّة وصناعية وتجارية وزراعيّة نشطة، بالإضافة إلى أحداث سياسية كثيرة.

ولم تنقطع علاقة أهل مالقة بموطنهم الأصلي: الأردنّ، فكانوا يذكرونها في أشعارهم، ويعرّجون عليها في رحلاتهم إلى المشرق، لكنّ بعد المسافة بين أردنّ الأندلس وأردنّ المشرق ومخاطر الطريق كانت تقف حائلاً دون التمادي في التواصل بينهما. وممّا يمكن ملاحظته في أهل مالقة، أنّهم كانوا شديدي التمسّك بمدينتهم وقلّما يرغبون في الرحيل عنها. وهذا ما قصد إليه أبو الخطّار الكلبي عندما أنزل أجناد الشام على كورٍ تشبه الكور التي جاءوا منها من المشرق، وغايته من ذلك هو تحقيق الطمأنينة والاستقرار لهؤلاء المهاجرين. فكانت مدن كورة ريّة وقراها تشبه مدن أردنّ الشام: طبريّة والجليل وبيسان

وعكّا وصور والسامرة واللجّون وإربد وجرش وأمّ قيس وعجلون وغيرها من مدن جند الأردنّ في العصر الأمويّ.

ولا شكّ في أنّ ضياع غالبية المصادر التي اختصت بكورة ريّة ومدينة مالقة قد حرم الدارسين من معلومات كثيرة عن مجتمع أهل الأردنّ في مالقة، فمن بين سبعة مؤلّفات في تاريخ ريّة ومالقة وتراجم رجالها لم يصلنا سوى كتاب واحد هو كتاب: أدباء مالقة لابن خميس، وقد وصل إلينا غير تامّ.

الهوامش والتعليقات

1. نشوة الطرب لابن سعيد 144/1.

2. رسائل ابن حزم الأندلسي 141/2.

3. تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية 187 نقلاً عن كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة.

4. نفسه 43.

5. نفسه 34-35.

6. الإحاطة للسان الدين بن الخطيب 102/1؛ البيان المغرب 2/ 13-12؛ فجر الإسلام/ حسين مؤنس 84-85؛ أخبار مجموعة ص15. ويقول ابن عبد الحكم (ت257هـ) في كتابه فتوح إفريقيا والأندلس (ص76) إنّ موسى خرج بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر.

7. تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 324/1.

8. نفح الطيب للمقّري 263/1، 275؛ البيان المغرب للمرّاكشي 11/2 (وفيه أنّ الذي فتحها طارق بن زياد)؛ أدباء مالقة 265-266؛ الإحاطة 275/1.

9. فتح الأندلس/ مجهول 67.

10 . تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطيّة 40- 43 ؛ البيان المغرب للمراكشي 2/ 30- 31 ؛ أخبار مجموعة في فتح الأندلس 30- 31 ؛ فتوح أفريقيا والأندلس لابن عبدالحكم 94- 101 .

11 . الإحاطة للسان الدين بن الخطيب 102/1 . ويقول ابن عبدالحكم في كتابه «فتوح إفريقيا والأندلس» (ص99) : «وانهزم بلج بن بشر وثعلبة الجذامي وبقية من أهل الشام إلى الأندلس، فاتبعهم أبو يوسف الهواري، وكان طاغية من طواغي البربر، فأدركهم فقاتلهم، فقتل أبو يوسف وانهزم أصحابه، ومضى بلج وثعلبة إلى الأندلس» .

12 . البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 2/ 30- 31 .

13 . نفسه 31/2 ، أخبار مجموعة 40 .

14 . الإحاطة لابن الخطيب 102/1 .

15 . البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 31/2 ؛ تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية 42 ؛ أخبار مجموعة 40- 41 . وفي كتاب فتوح إفريقيا والأندلس لابن عبد الحكم (ص100) أنّ بلجاً عندما دخل إلى الأندلس أبلغ عبدالملك بن قطن أنّه خليفة كلثوم، وشهد له بذلك ثعلبة الجذامي وأصحابه، فسلم عبدالملك بن قطن الولاية لبلج، غير أنّ بلجاً عندما دخل قرطبة قام بحبس عبدالملك، فثار أبناء عبدالملك على بلج، فاضطر بلج لإخراج عبدالملك من السجن .

16 . تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية 42- 43 ؛ البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 32- 33 ؛ أخبار مجموعة 44 ؛ فتح الأندلس لمجهول 66 ؛ جذوة المقتبس للحميدي 185- 186 ؛ أعمال الأعلام لابن الخطيب 7 ؛ فتوح إفريقيا والأندلس لابن عبدالحكم 100- 101 ؛ نفح الطيب

22/3،299/1، وذكر عبدالملك بن حبيب في كتاب التأريخ أن ثعلبة بن سلامة العاملي قد شارك بلجاً في ولاية الأندلس (كتاب التاريخ ص 150).

17. أخبار مجموعة 44-46؛ كتاب التأريخ لعبدالملك بن حبيب 150؛ البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 33/2.

18. البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 33/2.

19. أخبار مجموعة 45.

20. عنوانه: درر القلائد وغرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها، لأبي عامر محمد بن أحمد بن عمر السالمي (ت 559هـ) (الذيل والتكملة، السفر السادس، ص8، المطرب لابن دحية ص 77).

21. البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 33/2.

22. فتح الأندلس 59-60، نفح الطيب 22/3.

23. جذوة المقتبس 185-186.

24. كتاب التأريخ لعبدالملك بن حبيب 150، أعمال الأعلام لابن الخطيب 7.

25. فتح الأندلس 58؛ البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 33/2، 56/1؛ نفح الطيب 22/3.

26. نفح الطيب للمقّري 327/1.

27. الحلة السيراء لابن الآبّار 16/1؛ نفح الطيب للمقّري 3/ 24-22؛ البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 2/ 33-34؛ تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية 44؛ أخبار مجموعة 45-46؛ فتح الأندلس 64-

58؛ جذوة المقتبس للحميدي 201- 200.

28. فتح الأندلس 59-60.

29. جذوة المقتبس للحميدي 186.

30. أخبار مجموعة في فتح الأندلس 46.

31. تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية 45.

32. البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 2/33.

33. نفح الطيب للمقّري 1/237.

34. نفسه 1/237. ويقول ابن عبدالحكم في كتابه«فتوح إفريقيا والأندلس» (ص102) عن أبي الخطّار: «وأخرج ثعلبة بن سلامة في سفينة إلى إفريقية... وأخرج مع ثعلبة أهل الشام، فكانوا بالقيروان مع حنظلة. ويضيف أيضاً (ص105): «وكان ثعلبة بن سلامة الجذامي مع حنظلة، فلّما بلغ من بإفريقيا من أهل الشام قتل الوليد بن يزيد، خرج عامّة قوادهم وخرج ثعلبة بن سلامة إلى المشرق». وكان قتل الوليد سنة 126هـ.

35. جمهرة أنساب العرب لابن حزم 419.

36. كتاب التأريخ لعبدالملك بن حبيب 150.

37. نفح الطيب للمقّري 1/237.

38. تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية 45.

39. فتح الاندلس 60.

40. أخبار مجموعة 46.

41. الحلة السيراء لابن الأبّار 1/ 61-63.

42. البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 2/33.

43. الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب 1/103.

44. الإحاطة 1/102.

45. نفح الطيب للمقّري 1/237.

46. ذكر الأقاليم للزيّات 157 وفيه «وهي مدينة الأردنّ، وهي أسفل جبل، وفيها بحيرة عظيمة يخرج منها نهر، وفيها حامّة منها قنوات إلى الحمّام فلا يحتاجون إلى تسخينها، وأهلها قومٌ من الأشعريين، صالح أهلها عمرو بن العاص –رضي الله عنه– سنة أربع عشرة، وبها جبّ يوسف عليه السلام».

47. المسالك والممالك لابن خرداذبّة 78.

48. نفسه 228.

49. نفسه 255.

50. معجم البلدان لياقوت الحموي 1/148.

51. نفسه 1/ 147-148.

52. نفسه 1/147.

53. نفسه 4/144.

54. نفسه 4/144.

55. نفسه 3/433.

56. المسالك والممالك لابن خرداذبة 77.

57. معجم البلدان لياقوت 1/489.

58. تاريخ الأردنّ لمحمد خريسات 34، وانظر أيضاً: جندا فلسطين والأردنّ في الأدب الجغرافي الإسلامي، الدكتور شكري عرّاف، مطبعة الشرق العربيّة، القدس، ص 112.

59. تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار لابن جبير 51.

60. الأندلس في اقتباس الأنوار للرشاطي 160 .

61. المغرب لابن سعيد 1/ 423-424 .

62. نفح الطيب للمقّري 3/ 218-219.

63. نفسه 1/ 151

64. نفسه 1/ 152 .

65. مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري 4/ 145-146 .

66. نزهة المشتاق للإدريسي 174 .

67. نفسه 200.

68. نفسه 204.

69. معجم البلدان 3/ 116 .

70. نفسه 5/ 43.

71. الروض المعطار للحميري 279.

72. نفسه 517.

73. نفح الطيب للمقّري 1/ 201، 202، 3/ 221.

74. نفسه 1/ 178 .

75. تاريخ الأردن/ محمد خريسات 32 .

76. نفسه 27-28 .

77. نفسه 29.

78. نفسه 30.

79. نفسه 31.

80. نفسه 32.

81. نفسه 32.

82. تاريخ خليفة بن خياط 196 .

83. مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري 4/ 159 .

84. نفسه 4/ 159 .

85. جمهرة أنساب العرب 419 .

86. نشوة الطرب لابن سعيد 208/1 .

87. جمهرة أنساب العرب لابن حزم 472-473 .

88. نفسه 442 .

89. نفسه 454 .

90. نفسه 420 .

91. نفسه 484 .

92. نفسه 433 .

93. نفسه 332 .

94. نفسه 485 .

95. نفسه 484 .

96. نسبة إلى عكّ بن عدنان بن عبيد الله بن الأزد (جمهرة أنساب العرب 328) .

97. نسبة إلى بجيلة بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وبجيلة شقيق خثعم. (جمهرة أنساب العرب 330) .

98. أنظر أمثلة على ذلك في أدباء مالقة، الصفحات 66، 67، 97، 110، 135، 152، 196، 217، 226-227، 242، 243، 259، 275، 303، 371، 372، 283، 396.

99. جمهرة أنساب العرب لابن حزم 419-420.

100. نفسه 421.

101. نفسه 433، لعله يقصد بذلك: أبا المطرّف عبدالرحمن بن قاسم الشعبي المالقي، فقيه مالقة ومفتيها، ومن حفاظها المشاهير، (ت497هـ) وهو معاصر لابن حزم. (أدباء مالقة لابن خميس 260-262؛ الصلة 344/2؛ تاريخ قضاة الأندلس 107-108؛ بغية الملتمس 370).

102. جمهرة أنساب العرب، 434.

103. نفسه 447.

104. نفسه 454.

105. نفسه 398.

106. نفسه 302.

107. نفسه 347.

108. نفح الطيب 294/1.

109. أخبار مجموعة في فتح الأندلس 31.

110. البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 46/2.

111. أخبار مجموعة في فتح الأندلس 56-57.

112. تنظر تفاصيل هذه المعركة في كتاب: أخبار مجموعة في فتح الأندلس 57-61.

113. نفسه 64.

114. نفسه 75-76.

115. نفسه 80.

116. نفسه 83.

117. نفح الطيب للمقّري 368/1.

118. البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 45/2.

119. نفسه 45/2.

120. نفسه 46/2.

121. نفسه 46/2.

122. البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 2/ 46-47؛ أخبار مجموعة في فتح الأندلس 90-88.

123. البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 46/2.

124. أخبار مجموعة في فتح الأندلس 119-120، وذكر مؤلف كتاب أخبار مجموعة أنّ الحال قد آلت بالقعقاع بعد ذلك أن خرج على عبدالرحمن الداخل، ثمّ ظفر الأمير عبدالرحمن به، فأقاله واستقضاه رغبةً في ألاّ يفسد يده عنده (أخبار مجموعة 120).

125. المقتبس لابن حيّان/ تحقيق محمود علي مكّي 272؛ البيان المغرب لابن عذاري المرّاكشي 109/2، وربّما كان ذلك في المدّة بين 249هـ و 252هـ فقد أغزى الأمير محمد ابنه عبدالرحمن فيها إلى أراضي جليقية (البيان المغرب لابن عذاري المراكشي 98-99).

126. المقتبس/ تحقيق مكّي 393؛ البيان المغرب لابن عذاري 103/2.

127. البيان المغرب/ لابن عذاري المراكشي 2/ 104-106.

128. الحلة السيراء لابن الأبّار 1/ 148-149.

129. المقتبس لابن حيّان/ تحقيق الحجّي 57.

130. نفسه 201.

131. نفسه 77-78.

132. نفح الطيب للمقّري 4/ 521.

133. نفسه 3/ 174.

134. نفسه 3/ 174.

135. تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 1/ 101 وصفحات أخرى كثيرة.

136. الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ للسخاوي 129.

137. الذيل والتكملة للمراكشي، السفر الأول، القسم الثاني 442-441.

138. نفسه 441-442، 6/ 450-451.

139. ط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ودار البشير، عمّان، 1999م.

140. أدباء مالقة، 372؛ وانظر: صلة الصلة لابن الزبير 4/ 203.

141. أدباء مالقة، 371؛ وانظر : صلة الصلة لابن الزبير 4/ 199.

142. أدباء مالقة، 45-46؛ وانظر: الذيل والتكملة 6/ 18. ومن بني عمثيل العامليّين أيضاً أبو جعفر أحمد بن سليمان بن عمثيل العاملي، كان من بيت حسب وجلالة وعلم ونباهة، حسن التصرّف في الأدب، من أهل الذكاء واليقظة. (الذيل والتكملة س1 ق1 ص127).

143. أدباء مالقة، 67-68؛ وانظر: الذيل والتكملة 6/ 237-238؛ تاريخ قضاة الأندلس للنباهي 109.

144. أدباء مالقة 109-110؛ الذيل والتكملة 6/ 136-139.

145. أدباء مالقة 275-276.

146. أدباء مالقة 302، الأندلس في اقتباس الأنوار 160؛ أخبار الفقهاء والمحدثين 257، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 273/1.

147. أدباء مالقة 325.

148. تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 88/1. ومنهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن زعرور العاملي المالقي (الذيل والتكملة س1 ق2 ص 424).

149. الذيل والتكملة 276/6.

150. انظر: أدباء مالقة 49-52.

151. أدباء مالقة 383-384، وانظر أيضاً: صلة الصلة 227/4.

152. أدباء مالقة 97.

153. نفسه 217-223، المغرب لابن سعيد 426/1، صلة الصلة لابن الزبير 3/ 117-118.

154. المغرب لابن سعيد 426/1.

155. التكملة لابن الأبّار 208/1.

156. أدباء مالقة 152-154؛ وانظر: الذيل والتكملة لابن عبدالملك المرّاكشي 163/6؛ تاريخ قضاة الأندلس للنباهي 112-115.

157. نفح الطيب للمقّري 119/6.

158. الإحاطة للسان الدين بن الخطيب 1/ 465-467.

159. تاريخ قضاة الأندلس 82-84.

160. أخبار الفقهاء والمحدثين للخشني 47-48، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 88/1.

161. أخبار الفقهاء والمحدّثين للخشني 151.

162. أدباء مالقة 164-184، وانظر ترجمته أيضاً في: الذيل والتكملة لابن عبدالملك المراكشي 6/ 449-452؛ المغرب لابن سعيد 1/ 432-431؛ صلة الصلة لابن الزبير 5/ 416؛ تاريخ قضاة الأندلس للنباهي 113-114؛ الإحاطة لابن الخطيب 2/ 172-175.

163. أدباء مالقة 165.

164. أدباء مالقة 307-308؛ صلة الصلة 118/4.

165. أدباء مالقة 107-108، وانظر أيضاً: الذيل والتكملة 6/ 212-213.

166. أدباء مالقة 205-206؛ وانظر: المغرب لابن سعيد 443/1؛ صلة الصلة لابن الزبير 84/3.

167. الإحاطة لابن الخطيب 3/ 64-65.

168. نفسه 3/ 66-67.

169. المغرب لابن سعيد 153/1؛ تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 210/1؛ أدباء مالقة 216-217.

170. أدباء مالقة 301-302؛ وانظر: معجم البلدان لياقوت 43/5؛ تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 342/1.

171. ابن الفرضي 342/1.

172. الذيل والتكملة 81/6؛ المستملح من كتاب التكملة 71.

173. جمهرة أنساب العرب 454، ويقول ابن حزم عنهم أيضاً: «وكان للقين جمعٌ عظيم وثروةٌ في أكناف الشام» (نفسه 454).

174. أدباء مالقة 346-347؛ وانظر: صلة الصلة 4/ 54-55؛

الذيل والتكملة س5 ،ق2 ، ص503 .

175 . أدباء مالقة 396- 397 .

176 . أدباء مالقة 397- 401 .

177 . نفسه .

178 . تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 190/2 .

179 . معجم البلدان لياقوت 116/3 ، تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 73/1 .

180 . تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي 41/1 .

181 . الصلة لابن بشكوال 620/2 .

182 . جمهرة أنساب العرب لابن حزم 398 .

183 . أدباء مالقة 235 ؛ وانظر : الذيل والتكملة ، س4 ص218 .

184 . تاريخ قضاة الأندلس 118 .

185 . نفسه 124 ، صلة الصلة لابن الزبير 263- 264 .

186 . نفسه 125 .

187 . ترجم له أبو الحسن النباهي في كتابه «تاريخ قضاة الأندلس» ترجمه مطوّلة ص 147- 141 .

188 . تاريخ علماء الأندلس 45/1 .

189 . أدباء مالقة 317- 318 .

190 . نفسه 318 .

191 . الذيل والتكملة لابن عبدالملك المرّاكشي/ س5 ق1 ص- 315 314 .

192 . أدباء مالقة 260 ؛ صلة الصلة لابن الزبير 211/3 ؛ الذيل والتكملة

لابن عبدالملك المراكشي/ س5 ق1 ص 314-315.

193. أدباء مالقة 376.

194. نفح الطيب للمقّري 467/1.

195. وانظر الأبيات أيضاً في أدباء مالقة 376، والبيت السادس مِعْضاضة بدلاً من معتاضة.

196. أدباء مالقة 52.

197. أدباء مالقة 50-51.

198. نفسه 176-179، وبعض أبيات هذه القصيدة في كتاب الذيل والتكملة 451/6.

199. نفسه 278-280.

200. نفسه 384-383.

201. نفسه 153.

202. نفسه 153، تاريخ قضاة الأندلس 113.

203. أدباء مالقة 174.

204. نفسه.

205. نفسه 175.

206. نفسه.

207. نفسه.

208. نفسه.

209. نفسه 181-179.

210. نفسه 183-184.

211. نفسه 174.

212. المغرب لابن سعيد 1/ 431-432؛ نفح الطيب 311/3.

213. المغرب لابن سعيد 430/1.

214. أدباء مالقة 121.

215. أدباء مالقة 255.

216. نفسه 257.

217. نفسه 282.

218. نفسه 52.

219. نفسه 205.

220. أدباء مالقة 48-49؛ مختارات من الشعر المغربي والأندلسي 215-216.

221. أدباء مالقة 397-401.

222. المغرب لابن سعيد 448/1.

223. الذخيرة لابن بسّام ق1 م2 ص854؛ أدباء مالقة 45-46.

224. أدباء مالقة 167؛ الإحاطة لابن الخطيب 175/2؛ تاريخ قضاة الأندلس للنباهي 123.

225. أدباء مالقة 167.

226. نفسه 206.

227. أدباء مالقة 364-366؛ مختارات من الشعر المغربي والأندلسي 211-212.

228. المغرب لابن سعيد 431/1.

المصادر والمراجع

1. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله السلماني اللوشي (ت 776هـ)، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973-1977

2. أخبار الفقهاء والمحدثين، الخشني، محمد بن حارث (ت 361هـ)، دراسة وتحقيق: ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة/ معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1992.

3. أخبار مجموعة في فتح الأندلس لمؤلف مجهول، طبعة مصوّرة عن طبعة ربدنير في مجريط 1867.

4. أدباء مالقة، ابن خميس المالقي، أبو بكر محمد بن محمد بن علي (ت بعد 639هـ)، حقّقه وقدّم له الدكتور صلاح جرّار، دار البشير/ عمّان، مؤسسة الرسالة/ بيروت، 1999.

5. الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت 902هـ)، دار الناشر العربي، بيروت، 1983.

6. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لسان الدين بن الخطيب، أبو عبدالله محمد بن عبدالله السلماني اللوشي (ت 776هـ)، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956.

7. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، القاهرة، 1904.

8. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبّي، أحمد بن يحيى ابن أحمد بن عميرة (ت 599هـ)، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

9. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المرّاكشي، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت.

10. (كتاب) التأريخ لعبدالملك بن حبيب (ت 238هـ)، دراسة وتحقيق خورخي أغوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة/ معهد التعاون مع العالم العربي. مدريد 1991.

11. تاريخ الأردنّ منذ الفتح الإسلامي حتّى نهاية القرن الرابع الهجري، الدكتور محمد عبدالقادر خريسات، منشورات لجنة تاريخ الأردنّ، عمّان، 1992.

12. تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشبّاط، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبّادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971.

13. تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية القرطبي، حققه وشرحه وعلّق عليه وقابله وقدّم له: عبدالله أنيس الطبّاع، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957.

14. تاريخ خليفة بن خياط (ت 240هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق، 1967.

15. تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد ابن يوسف الأزدي (ت 403هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966.

16. تاريخ قضاة الأندلس، النباهي المالقي، أبو الحسن، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

17. تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار، ابن جبير، أبو الحسن محمد ابن أحمد الأندلسي (ت 614هـ)، حرّرها وقدّم لها علي أحمد كنعان، دار السويدي، أبو ظبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001.

18. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي، أبو عبدالله بن أبي بكر البلنسي (ت 658هـ)، حقّقه وعلّق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربيّة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1963.

19. جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيدالله البكري (ت 487هـ)، تحقيق الدكتور عبدالرحمن علي الحجّي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1968.

20. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد ابن سعيد (ت 456هـ)، تحقيق وتعليق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1982.

21. جُندا فلسطين والأردن في الأدب الجغرافي الإسلامي، الدكتور شكري عرّاف، مطبعة الشرق العربيّة، القدس.

22. الحلة السيراء، ابن الأبار القضاعي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله ابن أبي بكر البلنسي (ت 658هـ)، حققه وعلّق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1963.

23. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسّام الشنتريني، أبو الحسن عليّ بن بسّام (ت 542هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1978-1979.

24. ذكر الأقاليم، إسحق بن الحسن بن الزيّات، تحقيق فرانسيسكو كاستيللو، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد ميللاس بالليكروسا لتاريخ العلم العربي في جامعة برشلونة، 1989.

25. الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة، ابن عبدالملك المرّاكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي (ت 703هـ)، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

26. الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة، ابن عبدالملك المرّاكشي، أبو عبدالله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي (ت 703هـ)، السفر الخامس، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965.

27. رسائل ابن حزم، ابن حزم القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، 1980-1983.

28. الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري، محمد بن عبدالمنعم، حقّقه الدكتور إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

29. الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، ابن سماك العاملي (ت النصف الثاني من القرن الثامن الهجري)، دراسة وتقديم وتحقيق الدكتور محمود علي مكّي، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1984.

30. صفة جزيرة العرب، الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1989.

31. صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإدريسي، الشريف، مطبع بريل، ليدن، 1968.

32. الصلة، ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت 578هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966.

33. صلة الصلة، ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (الأقسام 3-5) تحقيق الدكتور عبدالسلام الهرّاس والشيخ سعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1993-1995.

34. فتح الأندلس، لمجهول، دراسة وتحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1994.

35. فتوح إفريقيا والأندلس، ابن عبد الحكم، عبدالرحمن بن عبدالله (ت257هـ)، حققه وقدّم له: عبدالله أنيس الطبّاع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1964.

36. فجر الأندلس، الدكتور حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، ط4، 2008.

37. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، أعدّها وحقّقها الدكتور إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، 1963.

38. مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف، كمال السيد أبو مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.

39. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الجزء الرابع)، ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن يحيى (ت 749هـ)، تحقيق أ.د. محمد خريسات، د. عصام هزايمة، د. يوسف بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، 2001.

40. المسالك والممالك، ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله، طبعة مصوّرة عن طبعة مطبعة بريل في ليدن 1889.

41. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبدالواحد المرّاكشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط7، 1978.

42. معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979.

43. المغرب في حُلى المغرب، ابن سعيد المغربي، أبو الحسن عليّ بن موسى (ت 685هـ)، حققه وعلّق عليه الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1964.

44. المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ابن حيّان القرطبي (ت 469هـ)، تحقيق د. محمود علي مكّي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.

45. المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ابن حيّان القرطبي، أبو مروان (ت 469هـ)، تحقيق عبدالرحمن علي الحجّي، دار الثقافة، بيروت، 1965.

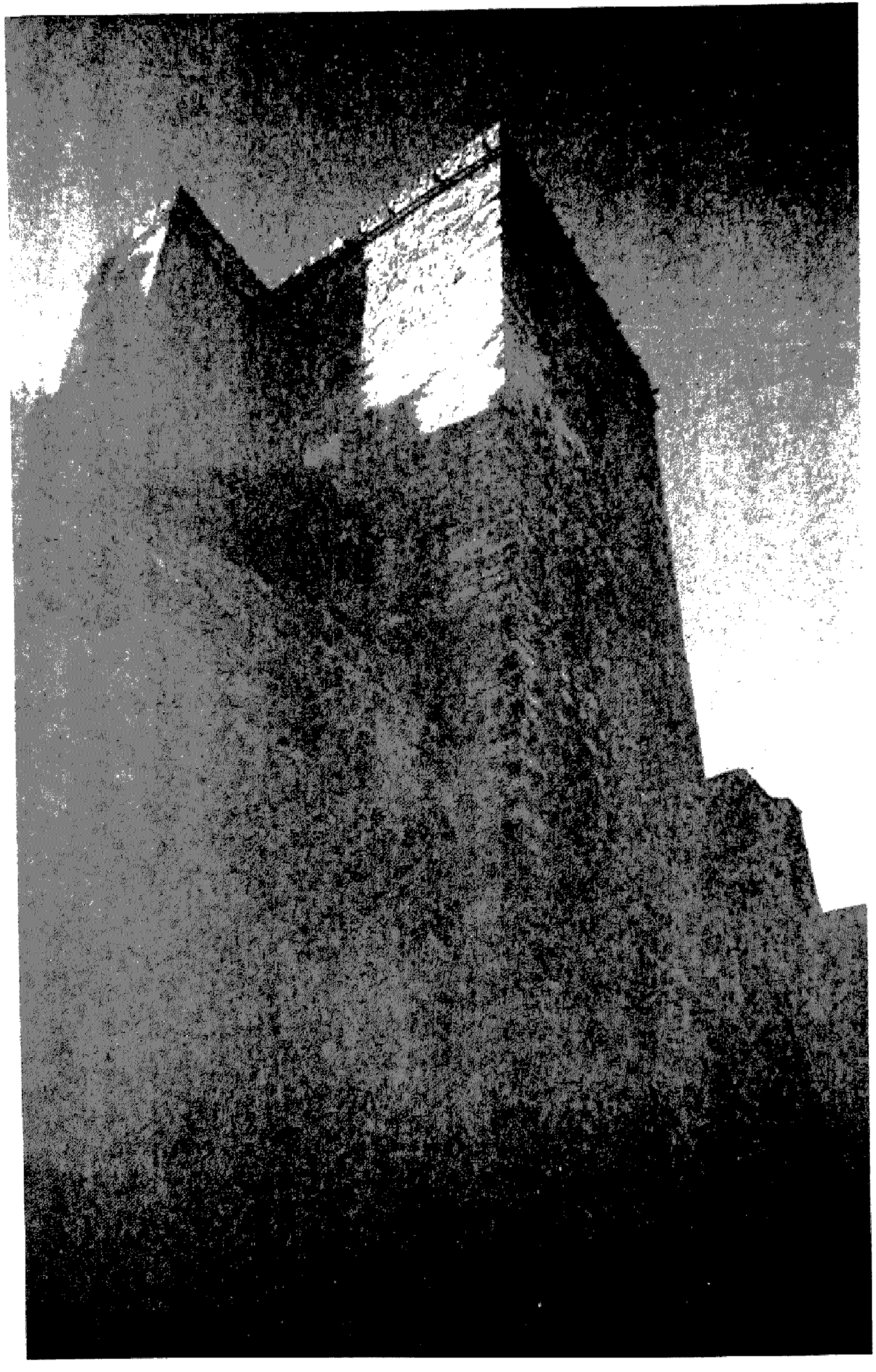
46. نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، ابن الأحمر الغرناطي، الأمير أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي الأندلسي،

حقّقه وقدّم له الدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976.

47. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الإدريسي، الشريف، مطبع بريل، ليدن، 1968.

48. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلس (ت 685هـ)، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمّان، 1982.

49. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقّري، شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ)، حققه الدكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1968.



فهرس المحتويات

- مقدمة 5
- قبائل جند الأردنّ وطوالع الهجرات إلى الأندلس 9
- قافلة الأردنّ إلى الأندلس زمن عمر بن عبد العزيز 10
- طالعة بلج بن بشر القشيري سنة 124 هـ 11
- ثعلبة بن سلامة العاملي أوّل والٍ على الأندلس من جند الأردنّ سنة 124 هـ . 13
- دخول أبي الخطّار حسام بن ضرار الكلبي إلى الأندلس ومصير ثعلبة 16
- توطين قبائل جند الأردنّ في ريّة ومالقة سنة 125 هـ 19
- أوجه الشبه بين مالقة والأردنّ 23

• قبائل الأردنّ ومالقة 34
• دور المهاجرين من جند الأردنّ بعد استقرارهم في مالقة 41
• ظهور نجم يحيى بن حريث الجذامي من جند الأردنّ 43
• قبائل جند الأردنّ تساند عبد الرحمن الداخل 46
• أهل الأردن في مالقة خلال عصر الإمارة الأموية الأمويّة والخلافة بالأندلس 50
• من أعلام جند الأردنّ في مالقة وريّة : 54
– العامليّون 56
– الجذاميّون 59
– الغسّانِيّون 63
– اللخمِيّون 65
– القينيّون 66
– الأشعريّون 71

• مختارات من أشعار المالقيين المنحدرين من سلالات قبائل جند الأردن : 79

– المدح 80

– الوصف 89

– الغزل 94

– الإخوانيات 98

– الحنين إلى الأوطان 98

– الرثاء 99

– الحكمة والشكوى 105

– خاتمة 111

• الهوامش والتعليقات 115

• المصادر والمراجع 131

• فهرس المحتويات 141





الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

مدينة مالَقَة: أردنّ الأندلس

صفحات مجهولة من تاريخ الأردنّ

دراسات

يأتي مشروع مكتبة الأسرة الأردنية ومهرجان القراءة للجميع، بهدف توفير طبعة شعبية زهيدة الثمن، تكون في متناول يد الأسرة الأردنية في كل بيت.

ويهدف هذا المشروع إلى تعميم الثقافة والمعرفة، وربط الأجيال بالتراث الثقافي والحضاري للأمة، والتواصل مع الثقافات الإنسانية.

إن الكتاب الجيد هو سفر باتجاه الذات ومعرفتها ومعرفة الآخر، وهو ومضةٌ لإضاءة عصرنا هذا، من أجل إنجاز رسالتنا التنويرية، القائمة على مشروع الدولة الأردنية منذ انطلاقة الثورة العربية الكبرى ومشروعها النهضوي.

. لقد تباينت إصدارات هذه السلسلة في موضوعاتها، ومضامينها، واتجاهاتها، ورؤاها، آملين أن تقدم للقارىء زاداً معرفياً متكاملاً، وتلبي رغبات وحاجات مختلف الشرائح الإجتماعية.

السعر : (٣٥) قرشاً

طبع بدعم من:

